

محمد هاشم الماحي

كينونة ذات



محمد هاشم الماحي

كينونة ذات

دار المصوّرات للنشر 2017

كينونة ذات

محمد هاشم الماحي

من هنا البداية

إن هذا الكتاب تجربة شخصية ووجهة نظر غير محايدة، فهو محاولة لصياغة أو إعادة صياغة تجربة إنسانية فريدة، من منطلق تلك القوة الغامضة التي تومض في أعماقنا لتحركنا نحو هدف غامض، ليست بدايته بالتأمل في الحياة منذ الولادة ولا نهايته عند الموت والبداية من جديد، هي تجربة إنسان يحاول سبر أغوار النفس والجسد والعقل وحتى الروح بحثاً عن ذاته المفقودة.

محمد هاشم الماحي

وأنا أقرأ شعرت بأني أريد أن أقول إنه يتحدث عن كينونة الذات ولكن أعود وأتذكر أن هذا هو عنوان الكتاب. هذا أفضل عنوان يعبر عن المحتوى الحقيقي للكتاب. ربما ستحتاج إلى قراءة الكتاب عدة مرات لتلم بجميع جوانبه لأنه سيأخذك إلى أبعد من مجرد وعي بسيط. عمل رائع حقاً.

عارف الدوسري

ردمك 978-99942-4-335-8 ISBN



للنشر والطباعة والتوزيع

الخرطوم غرب،

شارع الشريف الهندي

المتفرع من شارع الحرية

ت: +249 912294714 ①

elrayah1995@gmail.com

كینهوتة ذات

الكتاب: كينونة ذات
الكاتب: محمد هاشم الماحي

تاريخ النشر: الطبعة الأولى 2017م

رقم الإيداع: 2016/299م

الناشر:



للنشر والطباعة والتوزيع

الخرطوم غرب،

شارع الشريف الهندي

المتفرع من شارع الحرية

ت: +249912294714

elrayah1995@gmail.com

المدير المسؤول: أسامة عوض الريح

التصميم: محمد الصادق الحاج

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر - السودان

128 محمد هاشم عبد الله الماحي، -1989

م. ه. ك

كينونة ذات / محمد هاشم عبد الله الماحي -.

الخرطوم: م. ه. عبد الله الماحي، 2016م.

124ص؛ 14×21سم.

ردمك 8-335-4-99942-978

1. الإنسان - فلسفة.

أ. العنوان.

حقوق النشر محفوظة للمؤلف والناشر ©

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

إن دار المشرفات للنشر غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

محمد هاشم الماحي

كينونته ذات



للتشر والطباعة والتوزيع

2017

فهرست المحتويات

11	إهداء
15	تقديم
17	من هنا البداية
19	1 . من أكون؟؟
21	تساؤل عميق
23	الجسد عالمنا المادي
29	العقل مدخل إلى العوالم المتعددة
43	الجزء الغامض
47	2 . نار «الإيقو» ونور الوعي
49	ما بين «الإيقو» والوعي
54	الرغبة عند القيمة صفر
60	قيمة الذات الحقيقية
66	معادلة الزمان والمكان
70	الفهم العميق
73	3 . الأنا الآخر
75	الآخر... من يكون؟
79	رفقاء الرحلة
84	«الآخر» الظل
88	الجنس محاولة للوصول
95	العلاقة المتوازنة

101	4 . اللامحدود المطلق
103	الوعي الصافي
107	في حضرة الذات
111	الجمال الكليّ
114	الحرية الأصلية
117	الحب وكل شيء آخر
121	المراجع والمصادر

إنها كلمة...
إنها ليست الحقيقة...
وإنها محاولة إشارة إلى ذلك المسار.
«كينونة ذات... رحلة نحو الحقيقي».

إهداء

إلى الذين صبروا عليّ وصابروا معي..

إلى رفقاء الرحلة وشركاء المسار..

إلى المعلمين والمرشدين في الظاهر والباطن..

إلى أسرتي الصغيرة والكبيرة..

وإليها هي خاصة..

لقد انتظرتُ طويلاً طويلاً، هنا على حافة الجنون
باحثاً عن الأجوبة
طرقتُ الباب بلا كلل
وحين كان وانفتح الباب
ياللعجب!!
كأنني، ما طرقتُه طيلة الوقت إلا من الداخل.

مولانا جلال الدين الرومي

تقديم

كتاب «كينونة ذات» شمل كل ما يمكن أن تكونه كإنسان في قالب محكم متدرج العمق بتسلسل سلس. فأنت لا تكاد تقرأ مفهوماً وتتساءل بينك وبين نفسك إلا وتجد الفقرة التالية تحييك بكل وضوح وتفصيل. لقد أبدع محمد الماحي في سرد فصول كتابه إذ شعرت أنه يكاد يكون موجوداً يأخذ بيد القارئ خطوة بخطوة بينما هو في نفس الوقت غير موجود. لم يحاول المؤلف أن يظهر من بين السطور ليمجد نفسه بينما كان واضحاً عندما يحتاج الأمر إظهار اختلاف فكره عن الآخرين. وأنا أقرأ شعرت بأنني أريد أن أقول إنه يتحدث عن كينونة الذات ولكن أعود وأتذكر أن هذا هو عنوان الكتاب. هذا أفضل عنوان يعبر عن المحتوى الحقيقي للكتاب. ربما ستحتاج إلى قراءة الكتاب عدة مرات لتلم بجميع جوانبه لأنه سيأخذك إلى أبعد من مجرد وعي بسيط. عمل رائع حقاً.

عارف الدوسري

من هنا البداية

إن هذا الكتاب تجربة شخصية ووجهة نظر غير محايدة، فهو محاولة لصياغة أو إعادة صياغة تجربة إنسانية فريدة، من منطلق تلك القوة الغامضة التي تومض في أعماقنا لتحركنا نحو هدف غامض، ليست بدايته بالتأمل في الحياة منذ الولادة ولا نهايته عند الموت والبداية من جديد، هي تجربة إنسان يحاول سبر أغوار النفس والجسد والعقل وحتى الروح بحثاً عن ذاته المفقودة.

أتناول ما أوصلتني إليه الحياة وشيء من محطات رحلتي ومقتطفات بحثي المستمر، منذ بدأت أعي هذه التجربة الفريدة، تلك الأسئلة التي لا نخلو منها، ولو تظاهرننا بغير ذلك أو حاولنا ملء ثغراتها في أرواحنا بما نلتقطه من مسلمات المجتمع و أعرافه أو حتى ظواهر فكره وفلسفته وتدينه.

بحثنا عن المجهول وارتباطنا بـ«الماوراء» وتتبعنا لعالم الروح وحينئذ العميق نحو ذات غائبة نتلمسها هنا وهناك بين الناس وفي دور العبادة وحتى في جلسات التأمل ومطالعات الفكر ومجالسات المستنيرين، من

هذا وفي ذاك نتناول ماهيتنا وقصة وجودنا ووجدنا، وكيف أنه ورغم زعمنا بالحقائق المشتركة بيننا، لكل واحد منا حقيقته الخاصة؟ تلك الحقيقة التي بها نكون ولا نكون في أطر وجودية تفرض علينا مناقشة ما هيتهما بين الواقع والفكر المعاصر.

مفارقة الزمن بين الماضي والمستقبل، وماهية الحياة بدون زمن، كيف يكون الأزل وكيف يكون الأبد فيما بُعد الآن، وعندما تدخل نظريات الفيزياء الحديثة بداية بالوقوف على أطلال إنشتاين ونسبته، وليس بالنهاية عند نظرية الأوتار الفائقة ومع احتمالات بلا نهاية، عندما يدخل الدين والعلم والفلسفة وتبدأ بينهم رحلة الالتقاءات لأول مرة، ويخرجون من نفس الباب حتى من غير أن يقولوا وداعا، هنا والآن تاركين خلفهم إنسانا جديدا يحمل نفس أسئلته وبدون أجوبة، لكنه وبدلاً من تلك المغالطات المستمرة يبدأ الاسترشاد بإشارات نابعة من أعماقه، ليتلمّس خطى طريق آخر نحو ذاته الضائعة وسط كل هؤلاء.

محمد هاشم عبد الله الماحي

1

من أكون؟؟

طويل هو الليل للساھر..

طويلة هي الأميال العشرة للمتعب..

طويلة هي دورة الميلاد والموت للأحمق الذي يجهل سواء السبيل.

المبجل بوذا

تساؤل عميق

تساؤلات عميقة جدا عن الذات وعن الآخر وعن كونه آخر، وحتى عن البداية وماذا قبلها؟، وعن النهاية وماذا بعدها؟. التساؤلات قد تكون قائمة طويلة بلا نهاية ولكن هذا السؤال فقط (من أكون؟)، عندما نجيب عليه فإنها الحقيقة والتي تغني عن كل تلك الأسئلة، هي لا تجاوب عنها بل تغني عنها، ولكن الذي يواجها هنا هو أنه حتى أولئك الذين وقفوا وجها لوجه أمام الحقيقة كانوا عاجزين تماما عن صياغتها بالكلمات، ومع ذلك تبقى هناك فرصة عظيمة لإعطاء إشارات لها، ومن خلال هذه الإشارات نتلمّس طريق بحثنا عن تلك الذات، طلبا لتلك المرحلة التي نشهد فيها حقيقة من نكون.

مع بداية حياتنا تنهال علينا من الأسرة والمجتمع وكل مكونات الوعي الجمعي العديد من التعريفات للذات (من أكون؟)، ومن خلال كل مرحلة نبدأ بتكوين ما يمكن تسميته بـ(الأنا الزائفة) والتي صار يصطلح عليها بـ(الإيقو) (Ego)، وهي متلازمة طبيعية للسطلة العقلية التي تعمل على نظام الثنائية كتقييم للأنا وللأنا الآخر، على أساس شبه متفق عليه هو النموذج المثالي أو الأنا العليا، والذي يمكن أن نقول: إنه عبارة عن مجموعة القيم والمبادئ والقوانين المتفق عليها ضمن الجماعة،

والتي تقرر وكمسلمات - غير قابلة للنقد على أساس الصواب والخطأ - من نكون لكل واحد منا انطلاقاً من الأفعال والسلوكيات التي نقوم بها بل وحتى الفكر والاعتقاد. هذا النظام والذي تم تأسيسه عن طريق الإنسان يطلق العنان للعقل ليكون هو المتحكم الأول، والذي على أساسه تم خلق تعريف زائف لـ (من أكون) على أساس المنطق العقلي المحدود جداً، قياساً بلا محدودية الذات التي تتخطى حدود الزمان والمكان وما يترتب عليها.

كل هذا يجعل الإنسان حائراً، بل وأكثر معاناة من ذي قبل، وكيف أن تلك «الأنا المزيفة» التي حاول العقل أن يسد بها ثغرات الدافع العميق، الذي يحث الإنسان على البحث عن ذاته الحقيقية التي لم تعد تشكل إشباعاً حقيقياً، لذا فهي تتصيد المعاناة والألم وحتى السعادة والمتعة، بطريقة ثنائية تهدف إلى تشتيت المراقب الداخلي والوعي عن تلك الحقيقة الراسخة في أعماقه، والمتمثلة في طريقة التعرّف على ذاته الحقيقية.

الجسد عالمنا المادي

ماهية الجسد

عند النظر إلى أجسادنا فهي جزء من هذا الكون المادي الذي يعرفه الدكتور «كارل ساغان» بأنه كل ما هو موجود وما وجد وما سيوجد. وفي حين أن العلاقة متبادلة بين المادة والطاقة، فإن نظرة قريبة للمادة ستكشف لنا أنها عبارة عن طاقة حبيسة كما أثبت ذلك «ألبرت إنشتاين» في قانونه لتكافؤ الطاقة. وعليه؛ فإن الكون وبها في ذلك أجسادنا وكل شيء آخر، هو عبارة عن طاقة، وبغض النظر عن الشكل الذي تتخذه في اللحظة المعينة، فإن الطاقة هي المكوّن الذي يمكننا الإشارة إليه عند محاولة تعريف هذا الكون حتى الآن. وبالعودة إلى موضوع الجسد الإنساني والذي هو بمثابة العالم المادي بالنسبة لنا، فنجد أن هذه الطاقة تتجلى في شكل خلايا لتكون الجسد في نظام بالغ الدقة والتعقيد. وهو نفس المعنى الذي أشار له الدكتور «زهير الكرمي» عندما عرّف الجسم بأنه تكوين من الوحدات الصغيرة تعرف بالخلايا، وتختلف خلايا الجسم في شكلها وحجمها تبعاً لاختلاف وظيفتها وعملها؛ غير أنها بالرغم من هذا الاختلاف تبقى في أساسها مكونة من نفس المكونات تقريبا.

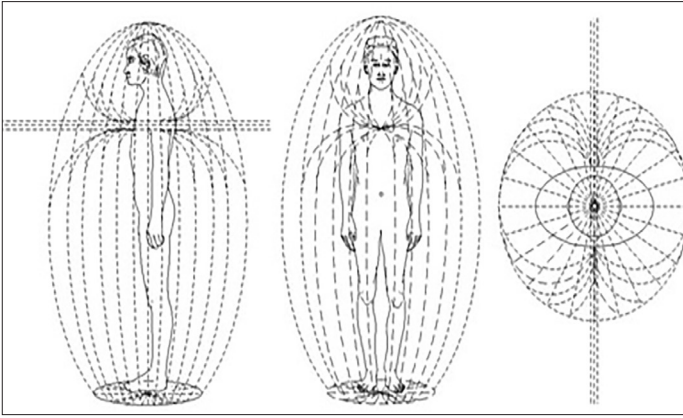
رحلة التجدد

نحن لسنا هنا لطرح المعلومات المتخصصة، إنما هي التساؤلات وبعض التنظير، وبالنسبة للجسد فهو نظام متجدد بطبيعته، فالخلايا تولد وتموت مورثة للمعلومات التي تحتزنها، هذا النظام من التجدد يعمل في كل أجزاء الجسم بدرجات متفاوتة من حيث الزمن والآلية. هنا يأتي تساؤل فلسفي وعلمي عميق، وهو إذا كانت الخلايا تتجدد، فلماذا مثلا شخص أصيب بالسرطان أو بتر جزء من جسده، عندما يتم التجدد فإن هذه الخلايا تجدد نفسها وارثة نفس المرض أو العيب الناشئ عن البتر، بدلاً من أن يتم الرجوع إلى النموذج الأصلي أو السليم؟ -طبعاً- هناك تفسيرات علمية لهذا، رغم أن هذه الجوانب مازالت مطروقة ولها الكثير من التفاصيل. وهنا فرضية أخرى وهي عن إمكانية خلق آلية للتحكم بجينات الحمض النووي (DNA) ليعيد تشكيل الجسم بالصورة المثالية، بعيداً عن الاحتفاظ بالمعلومات المتعلقة بالأمراض أو التقدم بالعمر، وعن إمكانية جسد يتجدد ويتشافى بشكل مثالي لعمر أطول بكثير مما يخطر بأذهاننا. وهذا هو الذي يطرحه المتقدمون من العلماء الروحانيين والفلاسفة أو الأطباء فيما يعرف بطب العصر الحديث، كنموذج مطروح يتعاطى مع الإنسان والجسد باعتبار مكوناته المادية والماورائية، أمثال الدكتور «ديباك شوبرا» وغيره ممن يحملون هذا الاتجاه، والذي بدأ يأخذ رواجاً عالياً في الغرب، وكذلك كطريق قديم مستحدث في الشرق الأقصى وحتى عندنا في الشرق الأوسط والعالم العربي عموماً وأفريقيا.

١ هناك كتاب للدكتور ديباك شوبرا في هذا الموضوع تحت عنوان (جسد لا يشيخ وعقل لا يحده زمن).

الحضور والاتصال

في كتابه (الدفاع النفسي الطاقى) يشير المعلم - تشوا كوك سوا - إلى أن لدى كل إنسان «حقل طاقي يحيط بالجسم»^٢ فيما يعرف بالهالة، والتي تتأثر بماهية نشاط الجسم ووضعه الصحي ومستوى التناغم والانسجام بينه وبين النشاطات التي يقوم بها فيما يقود إلى تقاطعات مع العقل من جهة؛ والإدراك والشعور من جهة أخرى.



رسم يوضح شكل الهالة حول الجسم

وفي معرض حديثنا عن الحضور والاتصال، تجدر بنا الإشارة إلى أنه حتى الأعراض والأمراض التي تصيب الجسد ما هي إلا انعكاسات عن الحالة التي يمر بها الفرد، كمحصلة لمدى الانسجام بين السلوك والفكر والشعور والإدراك. فلو أخذنا مثالا على هذا؛ فإننا نجد أن الشخص الذي يرهق نفسه بالفكر الصراعي الذي يجعله في تعارض مع ما يتبناه أو مع الواقع مقارنة بالرغبة؛ فهذا النوع من السلوك

^٢ المعلم تشوا كوك سوا - ٢٠٠٥ - الدفاع النفسي الطاقى.

العقلي يظهر على المهالة كانعكاس أولي له، يمكن قياسه وملاحظته من خلال استخدام الأجهزة الحديثة التي تصور المهالة. هذا الأمر-أي السلوك العقلي- عندما يستمر؛ فإنه في أغلب الأحيان يسبب حالة من الصداع، كتطور ينه الإنسان إلى ضرورة السماح بانسياب الطاقة في إطار التفكير، وباستخدام الصداع في الرأس كدلالة رمزية تتماشى مع منطوق علم وظائف الأعضاء. وفي حين أنه قد تخرج الدلالة من الإطار المادي إلى الإطار المعنوي، كأن يكون الألم في الظهر إشارة أو دلالة على عدم الانسجام في الفكر أو الاعتقاد في مسألة الدعم والسند. وعلى نفس هذا المنوال خرجت العديد من المؤلفات التي تتناول هذا الموضوع، وكان من أبرز الذين تناولوا هذا الموضوع الدكتور «لويس هاي» في العديد من المؤلفات، أما على مستوى العالم العربي فقد تناوله الدكتور «صلاح صالح الراشد» والذي أخرج كتاباً بعنوان (فك شفرة الأعراض والأمراض) والذي تناول فيه هذه الموضوع من خلال تقديم جداول تبين العلاقة بين العرض أو المرض من جهة، وبين الدلالة التي يحملها أو الرسالة التي يدل عليها في الفكر أو الشعور من جهة أخرى.

الجمال والجنس

هنا نأتي لنقطة أخرى، هي مسألة الجمال وماهية الجمال عندما يتعلق الأمر بالجسد الإنساني عند الرجل وعند المرأة، ماهية هذه المقاييس التي نحدد بها أن هذا الشخص جميل؟. يرى البروفيسور «ميتشو كاكو» أن المقاييس لدى جمال الشخص، هو مدى صحة هذا الشخص. وهذا القول إلى حد كبير نجد أنه ينطبق على التقييم الذي نقوم به لدى جمال الآخرين، فقط إذا أضفنا إليه الاختلاف الناتج عن القيم الخاصة بكل واحد منا والموروث الاجتماعي والبيئي، فمثلاً نجد أن الأشخاص

ذوي البشرة السمراء أحيانا كثيرة يكون لديهم ميول نحو الأشخاص ذوي البشرة البيضاء وبالعكس، وهكذا، هذه المؤثرات بدرجات متفاوتة تخلق حالة من التباين في وجهات النظر، تجعل هناك تعريفات متباينة لماهية الجسم الجميل. ونحن حتى الآن نتحدث عن الجسم فقط في إطار فرضي، إذ أن الإنسان في الواقع هو مجموعة من المكونات الأكثر تعقيدا، ولا ننسى أن الأمر عندما يتعلق بالجنس الآخر، وأعني: الرجل للمرأة والمرأة للرجل، هنا تدخل اعتبارات جنسية، حيث ينظر كل واحد للآخر، مع الأخذ في الاعتبار مدى إشباع الآخر للحاجات الجنسية لدى الفرد، وهنا أيضا تدخل المكونات الخاصة بكل فرد وتكون بدورها أوسع وأشمل، إذ تنبني على التربية الأسرية والثقافة المجتمعية، بالإضافة إلى الدور المهم الذي صار يلعبه الإعلام كوسيلة تقدم حتى تلك الأنواع المحظورة من المعرفة والثقافة. فنجد أن ما هية جمال المرأة مثلا عند الرجل حتى الذي ليس لديه تجارب جنسية شخصية، تكن تجاربه مبنية على التجارب المستقاة من الخيال أو الأفلام الرومانسية والدرامية حتى الأفلام الجنسية أو الإباحية، بالإضافة إلى المصادر الحديثة وفق محاولات الشخص إسقاط تلك الصور والمشاهد على الواقع الخاص به في إطار سعيه لإشباع تلك الحاجة الداخلية لشكل الجنس الآخر.

كل هذا يقود إلى الحديث عن الجنس وتلك الأهمية البالغة التي يلعبها في حياتنا. الدكتور «سيجموند فرويد» وهو المؤسس لمدرسة التحليل النفسي ومن رواد علم النفس، كان يعتقد أن الغرائز الطبيعية (ليبدو) وأساسها الجنس، هي المؤثر الأول على السلوك الإنساني، وقد تناول الجنس والكبت الجنسي بكثير من التفصيل في مؤلفاته. والمعروف عن الرغبة الجنسية أنها من أقوى الرغبات بصورة غامضة

وتطرح الكثير من التساؤلات الفكرية والفلسفية، لذا نجد أن كثيرين من علماء النفس والفلاسفة والمفكرين يتناولون هذا الموضوع بكثير من التفصيل. وكشكل من أشكال التقاطع نجد أن فرويد في تعريف الجنس يقول: إنه نشاط يستهدف اللذة ويلتزم الفرد منذ الولادة. بينما ومن منظور آخر تماماً، نجد أن «أوشو» يطرح موضوع الجنس كحاجة قابلة للإشباع، والعزوبة كمرحلة تلي حالة الإشباع الجنسي. وهكذا وبصورة من الصور يلتقي مع فكر العديد من الديانات والفلسفات التي تتبنى هذا النهج فيما يخص الرغبة الجنسية، والعزوبة كمرحلة تعبر عن تحطيم الجسم للحاجة إلى ممارسة الجنس، ليس في صورة عدم المقدرة بل في صورة اختفاء الدافع اللاواعي.

وبما أننا الآن نتناول موضوع الجسد والجمال، نطرح نقطة أخرى، وهي تساؤل عن الكيفية التي يمكننا من خلالها إيجاد الجمال في الجنس الآخر دون النظر بعين الرغبة أو الحدود التي تملئها علينا تلك البرامج المكتسبة من حولنا؟. كذلك وبما أن الجنس يقوم بدور مهم في الحياة الإنسانية ألا وهو التكاثر وحفظ الاستمرارية، فإن هذا يستلزم الاستفاضة في الفصول القادمة عن ماهية هذه الرغبة وماهية هذا الإشباع؟. وهذا يفتح أبواباً جديدة فيما يتعلق بالجنس المثلي وما إلى ذلك من موضوعات تتعلق بالجنس من جهة، والفكر والأيدولوجيات من جهة أخرى، فيما يتعرض له الإنسان باعتباره فرداً مستقلاً وعضواً في نفس الوقت ضمن تكوين الوجود البشري.

العقل مدخل إلى العوالم المتعددة

مستويات ومراحل

العقل منظومة بالغة الدقة والتعقيد ولا متناهية الإمكانيات والمقدرات، ومن هذا المنظور العام الذي يشير إلى العقل سوف نأخذ وقفة تأملية، فلسنا بصدد تناول الماهية المادية للعقل (المخ - القلب) وإن كان هذا الجزء يتقاطع أحيانا وفي بعض الجزئيات مع ما نطرح. إن ما وصلنا إليه اليوم من تصور بالنسبة للعقل، يمكن تلخيصه في أنه كما أسلفنا منظومة بالغة الدقة والتعقيد، وإن هذه المنظومة تعمل على ثلاثة مستويات، تبدأ بالمستوى الواعي (المدرک المحدود)، ثم المستوى اللاواعي (المدرک اللامحدود) وأخيرا المستوى العالي (الفائق)، وهذه المستويات أكثر تعقيدا ولا توجد بينها أي حدود فاصلة حقيقية، فهي شديدة التداخل فيما بينها، وإنما تستخدم هذه التسميات في أغلب الأحيان من أجل الشرح والإيضاح.

أولاً: المستوى الواعي: يمكننا اعتبار أن المستوى الواعي من العقل هو الذي يقود الفكر من جهة، ويتحكم في الجسم على المستوى الظاهر من جهة أخرى، ومن خلال هذا المستوى من العقل فإننا

نتحكم بأحاديثنا ونقوم بمحاولات الحفظ والتذكر وتبني وجهات النظر والآراء، وفي الأغلب إننا نستخدم المنطق والسبب والنتيجة في إطار المستوى الواعي، لذلك تبرز مقدرته على الاستقراء والاستنتاج بالإضافة للحدس والتنبؤ عندما يتعلق الأمر بالاتصال بالمستويات الأخرى. كذلك فإننا باستخدام المستوى الواعي نقوم باتخاذ القرارات استنادا على معالجة المعلومات الواردة إليه من خلال الحواس عندما يتعامل مع الحواس بشكل مباشر، من خلال إدراك الصور والأصوات والروائح والأحاسيس والأذواق، أو بشكل غير مباشر من خلال اتصاله بالمستويات الأعلى. فمثلا عندما نمر بتجربة حياتية بسيطة في أي يوم عادي، كأن نصادف شخصا يجربنا عن ذلك الحادث في آخر الشارع، فإننا وبصورة واعية نوجه نظرنا إلى مكان الحادث بينما نستمع إليه، وعندما نربط بين ما يقوله وبين ذلك الدخان المتصاعد وجمهرة الناس في المكان، فإننا قد نخلص إلى ضرورة مغادرة المكان أو إلى ضرورة الاقتراب لمعرفة المزيد، أو حتى ربما نشعر بالخوف إذا افترضنا وجود أحد معارفنا هناك. إن كل هذا نقوم به بصورة واعية وفي شكل قرارات نتخذها لحظيا، وعلى أساس معالجة لبيانات أو معلومات نتلقاها من خلال حواسنا، وأخرى استنادا إلى الذاكرة كما في حالة افتراض أن أحد معارفنا قد يكون هناك، فهذا الجزء يأتي كافتراض من اللاواعي والذي يعيد تشكيل المعرفة المتراكمة لديه، كقاعدة بيانات تربط بينها مجموعة علاقات مكانية وزمانية وشرطية، بالإضافة إلى أن هذا المستوى يعمل كمصدر أيضا للمستوى الأعلى في شكل اتصالي تفاعلي بين المستويين، مبني بشكل أساسي على ردات الفعل الواعية، حيث يأخذ المستوى الواعي دور القيادة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في شكل المعالجة التي سوف تتم على المستوى اللاواعي للمعلومات على حسب الآلية التي يتعامل بها اللاواعي، فبصورة مباشرة يمكن

للإنسان تبني القناعات والمعتقدات والعمل عليها والبحث فيها، والتي مع تكرارها ومع المشاعر المصاحبة لها سوف تنتقل إلى المستوى اللاواعي، وتولد عادات وسلوكيات من خلال تفاعلها واندماجها مع المكونات الفكرية للإنسان بشكل بالغ الدقة والتعقيد. كذلك يمكن أن يحدث هذا بصورة غير مباشرة، كتلك الظروف والأحداث المحيطة بالإنسان والتي تؤثر على فكرة وطريقة تعامله، والتي تأتي كردة فعل متكررة في كل مرة والتي تتحول إلى عادات، وبذلك يكون قد تم تصديرها لتكون جزءاً من مكونات البرنامج على المستوى اللاواعي للإنسان.

ثانياً: المستوى اللاواعي: كثيراً ما تتابنا تساؤلات حول مشاعرنا، وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بتلك المشاعر التي نتجاحتنا وتسيطر علينا، في حين نكون فيه قد تبيننا مواقف واعية مخالفة تماماً لها. هنا لا بد لنا من التعرف على ذلك المستوى من عقولنا، والذي يعمل في الخلفية كمبرمج صامت، يقوم باختلاق أنظمة للتحكم في حياتنا بناءً على مراقبته لسلوكنا الواعي. ومن أجل بناء تركيبة تسهّل تنفيذ تلك العمليات المتكررة وذات الأهمية وباستمرار، فهو وكما أسلفنا يتفاعل مع المستوى الواعي كمصدر ومستورد للمعلومات، وكذلك يدير أنظمة الجسم وردات الفعل، ويقوم بتصميم أنظمة للحماية والدفاع عن الذات على أساس الفكر والمعتقدات الشخصية، بالإضافة إلى آليات البقاء والاستمرار.

إن المستوى اللاواعي من العقل يقوم باستقبال المعلومات التفصيلية من الحواس الخمسة؛ فمثلاً عندما ينظر شخص ما إلى منظر معين؛ فإن الصورة التي يلتقطها اللاواعي تكون بالغة الدقة والتعقيد، بحيث

يستطيع أن يلتقط كل التفاصيل من حيث المكونات والظروف المحيطة والذكريات المتعلقة، في حين يتم عمل تلخيص لهذه المعلومات، استناداً على البرامج في المستوى اللاواعي قبل أن ترسل إلى المستوى الواعي، وكل ذلك في جزء بسيط من الثانية، ليجد الشخص نفسه أمام صورة مصحوبة بشرح مبسّط وعليها العديد من التسميات التلقائية المستمدة من الذاكرة الشخصية، كأن ينظر إلى شخص ويكون تلخيص هذه الصورة: (هذا حسن صديقي الذي درس معي في الجامعة، يجب أن أسلم عليه)، وقد يكون مصحوباً بالصورة وبذكريات مصورة أو مسموعة أو محسوسة، مرتبطة بها ولكنها شديدة التلخيص، بحيث تقلص الفارق الشاسع بين مقدرات المعالجة للمستوى الواعي والمستوى اللاواعي. كذلك فإن من الأدوار التي يقوم بها المستوى اللاواعي، هي مساعدة المستوى الواعي على التركيز، وتتبع المسارات الموجهة نحو هدف معين أو غاية محددة، حيث يستمر بتقديم ملخصات عن المعلومات في حدود الإدراك الواعي، مبنية على الذاكرة والإدراك، بالإضافة إلى الإلهام في حالة تعبر عن اتصاله بمستويات أعلى فيما يمكن تسميته بالاتصال بـ(المستوى الفائق).

ثالثاً: المستوى الفائق: إن المستوى الفائق هو مستوى مجازي وكذلك نسبه إلى العقل هي نسبة مجازية، فعندما نتحدث عن هذا المستوى فإننا في حقيقة الأمر نتخطى شروط الزمان والمكان والماهية المادية لوجودنا إلى حالة الاتصال الكلي، الذي يعبر عن حالة الكون ككل موحد لا تنفصل مكوناته، بل وتعمل في إطار نظام تفاعلي متكامل إلى أبعد الحدود، فالحياة لا تعترف بفكرة الحدود إلا في إطار فرضيات علمية تهدف إلى التبسيط والشرح في مقامها الأول والأخير. فالإنسان مثلاً عندما يتعامل مع حدث معين في حياته، فهو وفي نفس

الوقت في اتصال مع ذاته، بينما يتم تقييم الحدث وتقرير شكل ردة الفعل على أساس برجمات سابقة، كما أنه يرسل إلى الكون من خلال ذبذباته في تلك اللحظة معلومات متعلقة بالحدث، مزوجة بتفاعله معه وتقييمه لها، وهكذا تنشأ الاحتمالات اللامتناهية.

إن الإدراك المباشر هو الذي يقود المستوى الواعي، بينما الأحاسيس والمشاعر المصاحبة للإدراك هي التي توجه المستوى اللاواعي من جهة أخرى، والذي بدوره يقوم بتوجيه المستوى العالي الذي يتعامل مع المشاعر بشكل مباشر، ليحدد ماهيتنا من خلال تناغم هذه المستويات مع بعضها من جهة، ومع الجسم من جهة أخرى، لتتولد عن ذلك حالة ذبذبية خاصة بنا، تؤثر على شكل الأحداث والظروف من حولنا، ومن جديد على كافة المستويات الأخرى لإدراكنا وتفاعلنا مع هذه الأحداث والظروف، والتي تكون على شكل قائمة لا متناهية من الاحتمالات في كل لحظة، ومع كل قرار مبني على درجة الوعي لدى الإنسان، ينتقل به إلى عالم جديد من الاحتمالات.

الحقيقي والافتراضي

ماهية الحقيقي والافتراضي؟ تساؤل فلسفي قديم متجدد، فبينما نتطور في العلم والمعرفة يتتابنا الشك يوماً بعد يوم في حقيقة هذا العالم الذي نعيش فيه، بينما تتواصل معضلتنا الأساسية في إيجاد تعريف دقيق للماهية المميزة للحقيقي. وقبل أن نستطرد في هذه الماهية للحقيقي، نبدأ مع هذا المقطع من فيلم المصفوفة (ذا ماتريكس).



صورة من فيلم (ذا ماتريكس) الجزء الأول (نيو، مورفيس)

نيو:

هذا ليس حقيقيا!!

مورفيس:

كيف تعرف الحقيقي؟

إذا كان هو ما تشعر به.. تشمه.. تتذوقه... ف الحقيقي إذا هو
إشارات كهربائية يفسرها الدماغ.

لقد تناول هذا الفيلم مفهوم الحقيقي والافتراضي بشكل من الرمزية التي تعبر عن حالة الشك الذي يتابنا في واقعنا، وماهية وجودنا وعلاقتنا بالعقل. فنجد أن هذا الطرح والذي قام في الأساس مستندا على نظريات ورؤى لفلاسفة متمكنين، ويتبنى فكرة أن كل هذا العالم هو افتراضي تم إنتاجه بواسطة العقل، والذي أصبح متحكما في الحياة وحتى في الإنسان، من خلال نظام يضلل الإنسان ويحول بينه وبين الحقيقي. هذا النظام هو (المصفوفة)، وهذه المصفوفة تعبر عن رؤية العقل وتدخله في عملية الإدراك المتأثرة ببرمجيات مكتسبة عبر آلاف السنين، إضافة إلى افتراضات التدخل في هذه البرمجة من قبل جهات مجهولة، تهدف إلى استعباد الإنسان لهذا النظام. بينما يطرح الفيلم هذه القيم مرموزة من خلال شخصياته (العملاء - المبرمج -

العَرَافَة) في المصفوفة من جهة، ومن خلال المصدر من جهة أخرى. وعندما ننظر إلى الفيلم بعين شخصيات الفيلم؛ فإننا نجد طرحا يتبنّى فكرة المخلّص، وفي نهايته تضحية المخلّص بنفسه ورجوعه إلى المصدر، كآلية لخلاص وتحرر الأتباع، في نموذج يشابه إلى حد كبير ما يطرح في الكتاب المقدس من تضحية السيد المسيح، وغيرها من النماذج التي تستند على «آخر» يقوم بدور الإنقاذ ومساعدة «الأنا» من أجل الخلاص. وهذا الأمر الذي ربما لا نتبناه إلى حد كبير في طرحنا هذا، وإنما كانت الإشارة إليه من أجل طرح وجهة النظر. كذلك فإن المشاهد للفيلم بعين البطل قد لا يجد هذا النموذج، باعتبار أن البطل هو «الأنا» والتي تقع على عاتقها المسؤولية الكاملة، بالإضافة إلى تمتعها بالحرية والقدرة على القرار والتصرف من أجل التحرر والخلاص.

من جديد، دعونا نفهم أولا كيف نعرف الأشياء؟. إننا لسنا فقط أشخاص، بل كل واحد منا عالم بأكمله، بكل ما تحمله كلمة عالم من معنى، وعالم الآخرين هو عوالم افتراضية بداخله. ولنبسّط هذه الفكرة دعونا نأخذ عملية إبصار اللون الأحمر كمثال؛ والتي يمكن شرحها في أبسط صورة على أن اللون الأحمر يحمل ترددا معيناً في الطبيعة، وعندما ينعكس من عليه الضوء حاملاً معه هذا التردد إلى العين، ترسل العين إلى الدماغ إشارة كهربائية تحمل نفس قيمة التردد، والتي على أساسها يشكل العقل صورة اللون الأحمر. هذه الصورة هي العالم الخاص والذي لن يتكرر لدى أي شخص آخر، حتى إن تكرر فلن يكون هو نفسه، رغم أن اللون سيظل يحمل نفس التردد، وربما سوف يطلق عليه نفس الاسم. كذلك الأمر بالنسبة للصوت والمشاعر وما إلى ذلك، فإن ماهية الأشياء في داخلنا ليست لها أي علاقة بالأشياء ولا بماهيتها عند الآخرين. إن الإدراك لدينا أمر خاص جداً، وسرّي لدرجة أننا لا

يمكننا البوح به لأي شخص حتى لو أردنا ذلك. إن العالم الخارجي الذي نعرفه هو تفسير عقولنا لما تلتقطه الحواس من معلومات، فنحن نتعامل مع العالم الخارجي من خلال مرشح عظيم جدا ومعقد إلى أبعد الحدود، هو عقولنا؛ ولذلك فإن رؤيتنا للعالم تتأثر ببرمجتنا وفكرنا وقيمنا الخاصة وغيرها من مكونات عالمنا الداخلي. إذا كنت تحلم وعشت بشكل كافٍ في حالة من الانغماس في تفاصيل الحلم، فإنك لن تدرك أن هذا حلم إلا بعد أن تستيقظ!!، هذ يقود إلى تساؤل منطقي تماما، ماذا لو أن هذه الحياة مجرد حلم؟. نعم، فلا أحد يمكنه أن يثبت أنها ليست كذلك. كيف ستعرف الحقيقي، إن كان كل شيء يحتمل أن يكون مشكوكا فيه، وإذا كانت حواسنا لا تزودنا إلا بنسخة معدلة للواقع؟.

في كتابه (تحقيق الأمنيات)، يذكر الدكتور «وين داير» مقولة يعرف من خلالها الحقيقي بـ: إنه الذي لا يتغير ولا يتبدل. ولو طبقنا هذا التعريف لوجدنا أن الحقيقي الوحيد هو ما يسمى بـكينونة الذات (الذات الحقيقية)، وإن كل شيء آخر غير حقيقي، فالأشياء والأشخاص يظهرن ويختفون، حتى الظروف والمشاهد وكل شيء يتبدل ويتحول مع تغير الزمان والمكان، إلا أنت (أنا) تلك الذات الشاهدة على الواقع، تظل مستمرة بلا انقطاع في تجربتنا.

فإن استطعت أن تدرك هذا التصور، فمن جديد هذا سيقودنا إلى تساؤل آخر، وهذه المرة عن التاريخ، فهل تعتقد أن هنالك فعلا أشياء حدثت قبل مولدك؟ وهل تعتقد أن هنالك أصلا حياة من قبلك؟. لست هنا لأجيب ولا لأزرع فيك الشك عن الحياة و الواقع أو ما تسميه بالواقع، فقط لتساءل!!.

في ألعاب الفيديو (ألعاب الحاسوب والي بي ستيشن وغيرها)^٣ يكون كل شيء متوقفاً ولا توجد أي أحداث حتى يدخل اللاعب إلى الحيز المعين، عندها يبدأ الأشخاص بالتحرك وعندما يدخل اللاعب يكون المشهد شديد الإقناع، في حين تتصرف الشخصيات بإتقان يوهم المشاهد بالتسلسل والبعد الزمني للأحداث، ويكون اللاعب مقتنعا بأن هناك أحداث مستمرة، بل وأحيانا يكون كل ما يقوم به اللاعب مبني على قناعته بأن حدثا تم قبل دخوله إلى عالم اللعبة، والذي على أساسه يتم اللعب؛ مثل تحرير ابنة الزعيم والتي خطفت، أو مهمة استعادة مخطوطات مسروقة وما إلى ذلك، في حين أنه في كل مرة يدخل لاعب جديد يطرح عليه نفس التاريخ المفترض والذي لم يحدث بأي شكل من الأشكال، في حين أن عالما كاملا في اللعبة صمم ليقنع اللاعب بهذا التاريخ. إن الذي جرّ علينا كل هذا، ليس فقط الافتراض والتساؤل، وإن كان ذلك سببا منطقيا، ولكن ما يزيد الأمر تعقيدا هو الحديث الذي يدور في أروقة الفيزياء، وخصوصا فيما يعرف بفيزياء الكم وعلمائها وتجاربهم التي تشير إلى تأثير المراقب على سلوك الجزيئات، والتي اعقبتها دراسات تتحدث عن تأثير الافتراضات المسبقة على البحوث والدراسات وغيرها من الحقائق العلمية التي لم تعد تحتكم للمنطق التقليدي للعلم^٤.

أنت عالم حقيقي... الآخرون عوالم افتراضية بداخله... من المقولات التي لاقت رواجاً في الفترة الأخيرة، فهي تجمع بداخلها من

٣ يمكن الرجوع إلى السلسلة الوثائقية عبر الثقوب الدودي والتي يقدمها الممثل الأمريكي الشهير «مورغان فريمان» والتي تناولت الموضوع بالإضافة إلى العديد من الموضوعات في هذا الإطار والتي استضافت كبار العلماء والمتخصصين والباحثين في هذه المجالات.

٤ من أشهر هذه التجارب تجربة الشق المزدوج.

الافتراضات ما يجيب على الكثير من أسئلتنا، وحتى أنها توافق على وجود حقيقي للآخر في بعد منفصل، وتفسح له المجال للتواجد مع الأنا بصورة تعبر عن التقاطعات بينه كآخر، وبين الأنا كذات حقيقية شاهدة على عالمها.

الخواطر والأفكار

إن كلمة خاطر أو خاطرة تعني النفس أو القلب، ولكنها تستخدم للدلالة على ما يطرأ على الذهن، ونحن هنا عندما نتناول الخاطرة؛ فإننا نعني بها الفكرة التي ترد على العقل بسبب مؤثر داخلي أو خارجي، بدون أن تكون مرتبطة بتسلسل فكري، والتي يمكن أن تكون بداية لعملية التفكير أو تستمر فتكوّن مجموعة خواطر يمكن أن نطلق عليها لاحقا (إلهام)، ولنفرق بين مجموعة الخواطر (الإلهام) وبين التفكير، فإننا سوف نعرّف التفكير على أنه الحوار الذي يقوده العقل مع الخواطر في اتجاهات معينة، بينما يكون في حالة صمت كشاهد على عملية ورود الخواطر في حالة (الإلهام).

إن افتراضنا مبني على أن الأفكار ليست بالشيء الذي يتولد داخل عقل الإنسان، وإنما هي عبارة عن موجات منتشرة في الفضاء من حولنا يقوم العقل بدور المستقبل لها، وذلك على حسب الشيفرة الموجية والتي تتغير من إنسان إلى آخر، على أساس مستوى الوعي والمشاعر التي يعيشها حسب الموقف الذي يمر به وفي اللحظة المعينة.

إننا ولو سلمنا بأن الأفكار هي موجات منتشرة في الفضاء من

حولنا، فإن هذا يقودنا إلى نقطة أخرى ربما أكثر أهمية، وهي في فهم
الماهية التي يعمل بها العقل في التعامل مع هذه الخواطر أو الأفكار،
فهذا الدور هو الذي يحدد العلاقة التي تنشأ بين الأنا و هذه الأفكار.
فالوعي المنخفض مرتبط بخلق علاقة بين الذات والأفكار، تعرف من
خلالها الذات على أساس الأفكار، وذلك من خلال المشاركة المستمرة
للعقل في هذه العملية من خلال الحوار الداخلي، والذي يؤدي إلى زيادة
سرعة هذه الخواطر في عملية طردية، تستنزف طاقة الإنسان الداخلية
وتشتت كينونة الذات من خلال المشاركة المستمرة في هذه العملية،
والتي تقلل مع الزمن من كفاءة العقل في إدراك الأفكار والتعامل معها،
بالمقابل فإن الوعي المرتفع بالذات والذي يظهر عن طريق العقل
المراقب، والذي يتعامل مع الأفكار بدون أن ينشئ علاقة بينها وبين
الذات، فسرعة هذه الأفكار تتناقص وتظل في حالتها كخواطر (إلهام)،
ما يتيح للعقل الاتصال بالمستويات العليا، والعمل كذلك بكفاءة أعلى
من خلال توظيف طاقته الخالصة والتي لم تهدر في الحوارات الداخلية
المستمرة ومعالجة المشاعر المتولدة عنها.

ورغم كل ما ذكرناه، فإن أغلب ما يجول في العقل لا يكون خواطر
خالصة، أو أفكارا جديدة يقوم العقل باستقبالها، ولكنه كذلك يكون
عبارة عن عملية تكرار وإعادة تشغيل يقوم بها اللاواعي في إطار برمجته
والقيم التي يعطيها، بالإضافة إلى العلاقات التي يخلقها بينها وبين
المشاعر والأحاسيس من جهة، وبعضها البعض من جهة أخرى. كل
ذلك في إطار ما يعرف بالذاكرة، وهي أحد أكثر الموضوعات تعقيدا،
وإثارة للكثير من الجدل حتى في الإطار العلمي بين المحدثين، فلا
يوجد مكان محدد حتى الآن للذاكرة في الدماغ ولا في أي مكان من
الجسم، ونحن في طرحنا هذا نميل أكثر إلى الفرضية التي تقول بوجود

ذاكرة موحدة للبشرية في إطار الوعي الكلي، والتي يتشاركها الجميع مع خصوصية كل واحد في اتصاله من أجل عمليات الحفظ أو التذكر (الاسترجاع). ومن هنا تظهر فرضيات الاختراق لذاكرات الآخرين أو حتى الوصول لمرحلة الاطلاع على الذاكرة الكلية أو جزء منها في مرحلة شديدة التقدم من الوعي أو الاستنارة.

المشاعر والأحاسيس

الإحساس هو تلقي المنبهات الخارجية من خلال الحواس، وقد يشمل ردات فعل الجسم تجاه هذه المنبهات في إطار تتقاطع فيه الأحاسيس مع المشاعر، وكل ذلك طبعا في إطار حاكمية العقل الذي يدير هذه العملية، فمثلا عندما يلمس شخص ما وعن طريق الخطأ جسما شديدا الحرارة، فبالإضافة إلى إحساس (الحرقة) لديه وردة الفعل الناجمة عنه، قد تنشأ لديه مشاعر خوف بسبب المعنى الذي قد يحمله معنى الحرارة (الحرقة) بالنسبة له، وهذا مبني على تجربته الداخلية وتقييمه الذي ينبع عن برمجته ووعيه. من هنا فإننا نجد أن كلا من المشاعر والأحاسيس مربوط وبشكل مباشر مع العقل، وخصوصا مع المستوى اللاواعي، فعندما نعرّف المشاعر على أنها ردة فعل الجسم تجاه المنبهات الداخلية والتي تشمل ضمنا الأحاسيس، فهذا يرجعنا من جديد إلى دائرة التفكير التي يقودها العقل مؤثرا بالمشاعر والأحاسيس أو متأثرا بها في دائرة تبادلية، يلعب فيها العقل الدور المحوري بمستواه اللاواعي، وعلى أساس من البرمجة التي تحدد الماهية المتحكمة كلما قل مستوى الوعي، أو على أساس من الإلهام والاتصال بالمستويات العليا كلما ارتفع مستوى الوعي.

إن مشهد الأسد الذي يفترس غزالا بعد مطارة طويلة في فيلم «عالم الحيوان» قد لا يكون ذا أهمية لذلك الشخص المتمرس في مجال الأفلام والذي شاهد الكثير منها منذ الصغر، ولكن بالنسبة لشخصين آخرين يشاهدان هذا المشهد للمرة الأولى فقد تنشأ لديهما نفس الفكرة التي تحكى عن الظلم الذي تعرض له هذا الغزال، ولكن حتما فإن الأحاسيس والمشاعر ستكون مختلفة بين الإثنين، إذا كان أحدهما قد تعرض لخوف شديد من الأسد في أول زيارة له لحديقة الحيوان أثناء طفولته. بينما وفي مشهد آخر، هذا الشخص عندما تلتقط عينه فتاة شابة في الطريق أو في مكان العمل، فإنه أمر عادي عندما يتم تقييمه من العقل بشكل مبدئي وبدون وجود تقييم عالٍ أو منخفض لهذا المشهد، ولكن لو تم تقييم الفتاة على أنها شديدة الجمال مثلا؛ فإن هذا قد يتسبب وعلى أساس القيم الذاتية بمشاعر الإعجاب، والتي بدورها تترجم إلى أحاسيس بالتوتر أو القلق وهكذا. ولو افترضنا من جديد وجود ذكريات معينة أو أي اختلاف في التقييم الداخلي، فإن هذا سيقودنا من جديد لحالة مختلفة من المشاعر والأحاسيس، تقود إلى دائرة من الأفكار والتي تولد مشاعر وأحاسيس وهكذا.

إن العلاقة بين المشاعر والأحاسيس شديدة التعقيد والتداخل، ولكننا دائما ما نجد سمات مميزة لكل واحدة عن الأخرى، فنجد أن المشاعر دائما ما تكون تعبيرا داخليا تجاه المعنى، بينما الأحاسيس هي التعبير الخارجي تجاه المنبه الذي يرد عبر الحواس، ولكن هذا لا ينفي التداخل من جديد، فحتى المشاعر يمكن ملاحظتها خارجيا في شكل العلاقة التي تربطها بالأحاسيس، كتلك الأحاسيس التي تنشأ بسبب المشاعر مثل الخوف الذي قد يتسبب في البرد أو الإحساس بالحر (التعرق) وغيرها.

ولا تفوتنا الإشارة إلى شيء شديد الأهمية، هو العلاقة التي تربط المشاعر والأحاسيس بالخواطر والأفكار، ولتبسيط الفكرة فإننا سنقول بأن كل فكرة تحمل حولها حقلا من الطاقة يمثل المشاعر، وهذا الحقل في أغلب الأحيان يكون متوازنا، فعندما ترد هذه الفكرة على العقل كخاطرة أو من ضمن عملية التفكير التي يقودها العقل، فإنها وفي كل الحالات باستثناء حالة الوعي الصافي التي تمر من خلال مرشح يتحكم فيه العقل اللاواعي، وذلك من خلال البرمجة والتي تعدل الحقل الطاقوي للفكرة، وعلى أساس هذا المرشح بما يتناسب مع مرحلة الإنسان واستعداداته، بينما تستمر عملية التفكير في إطار ذات المستوى، لنعود من جديد للأهمية التي يتخذها العقل في علاقته بالأفكار والخواطر من جهة، وما يتولد عنها من مشاعر وأحاسيس من جهة أخرى. فإن شكل إدراكنا للفكرة أو الخاطرة والمبني على أساس برمجتنا، هو ما يحدد شكل وكثافة مشاعرنا وأحاسيسنا وحتى استجابتنا لها.

الجزء الغامض

كينونة الذات

إن استخدامنا لكلمة كينونة الذات هو استخدام مجازي للتعبير عن الحالة الأصلية للذات أو الكينونة الخاصة بالإنسان كشخص متفرد، وفي نفس الوقت كجزء من كل موحد لديه وجهة نظر شخصية. إن كينونة الذات ليست حالة يمر بها الإنسان، وإنما نقصد بها التعبير عن الجزء الحقيقي والذي لا يتغير ولا يتبدل بتغير الزمان أو المكان أو الظرف، ويتسم بالصمت التام والسكون، لذلك فإن قرب الإنسان من حقيقته يتسم بحالة من الصمت والسكون الداخلي، وكلما ازداد قربا من هذه الحالة كلما كان الإنسان أقرب إلى حقيقة ذاته.

إن ما يطلق عليه (أنا) كتعريف للذات، أكثر تعقيدا من أن يتم ضبطه باللغة أو صياغته بالكلمات، ففي حين أن مجرد الإشارة إلى الذات، تنفي عن المشار إليه حقيقة كونه الذات، ذلك إن الذي يشير إلى الذات هو جزء أكثر أصالة في تكوينها، وفي نفس الوقت فإن اتصاف هذا الجزء - أي كينونة الذات - بالصمت والسكون لا ينفي عنه حقيقة كونه الجزء الذي تنشأ فيه وعنه أحداث الجسد والعقل. وبرغم ذلك

فإن واقع الذات لا يتحدد على أساس حقيقتها، بل على أساس مدى حضور كينونة الذات، ففي حين أن هذه الذات يمكن أن تكون شديدة التماهي مع العقل ومع حركة المشاعر والأحاسيس في الجسد، فيما يمكننا أن نطلق عليه الذات المزيفة ((الإيقو)) فهي في نفس الوقت يمكن أن تكون ذاتا حقيقية كما في حالة الوعي العالي أو الاستنارة كحالة تشهد حضورا للمراقب الداخلي كشاهد على الجسد والعقل.

وقفه مع الوعي

إن الوعي الذي نتحدث عنه هو مدى حضور كينونة الذات وشهادتها على العقل والجسد وما يحدث بهما، فهذه الشهادة للمراقب الداخلي تحرر الذات من سيرة العقل اللاواعية من خلال البرمجة المكتسبة من الخبرات السابقة أو حتى من خلال الوعي الجمعي، والذي هو في الغالب عبارة عن محصلة حالة منخفضة من الوعي لدى الجماعة التي تعيش في عصر معين، وتكون مربوطة بشكل أو بآخر بتاريخ هذه الجماعة، ومتأثرة بمحصلة وعيها الجمعي خلال هذا التاريخ. إن الخطورة في مسألة كينونة الذات أنها هي التي تحدد مستوى الوعي، والذي بدوره يحدد مدى تأثر الشخص بالبرمجة، ومدى تماهيه مع العقل ووقوعه تحت سيطرة اللاواعي.

إن الوعي هو المؤشر الأساسي على مدى حقيقية الذات، فكلما انخفض المستوى كلما فقدت الذات حقيقتها وتحولت إلى نموذج مكرر من ذوات أخرى، ولكنها نسخة شديدة الرداءة، ذلك لأنه لا أحد بإمكانه أن يكرر نموذج شخص آخر، ففي حين أن النموذج الحقيقي غير المكرر يكون شديد التفرد ويخدم هدف تطور الحياة، فإن

نموذج الإنسان غير الواعي والواقع في إطار البرمجة، والذي يكرر نماذج آخرين يكون غير مفيد ولا يضيف أي شيء للحياة ولا يخدم خطة، وفي نفس الوقت فإنه يهمل تلك السمات التي تؤكد تفردّه، وذلك من خلال غياب ذاته الحقيقية، وتماهيه مع ذاته المزيفة والتي تستمد قوتها من الصوت الذي يقود الحوار الداخلي في العقل، ومن خلال المشاعر والأحاسيس المتولدة عن ذلك، والتي في الغالب ما تكون سلبية وتستهلك طاقة الذات الحقيقية في دورة تعمل من جديد على استمرار تشتت كينونة الذات من أجل استمرار غياب الذات الحقيقية وإفساح المجال لسيطرة الذات المزيفة ((الإيقو)).

إن جمع شتات كينونة الذات وتوجيهها نحو الجسد والعقل هو أولى الخطوات نحو الذات الحقيقية، وفي حين أن هنالك الكثير من التقنيات والتكنيكات التي تتناول هذه العملية وتقودها، فإن الخلاصة أو الهدف الذي يجمع بينها واحداً، والذي يعرف بالوعي الصافي أو الاستنارة، والتي تتسم بحالة من الصمت والسكون.

حالة الصمت والسكون

هي التعبير عن وصول وعي الإنسان إلى المستويات العليا أو ما يعرف بالحالة الأصلية أو الحالة الصفرية. في حين أن حقيقة الذات تشمل الصمت كسمة تميّز كينونة الذات، فإن العقل ومن خلال استقباله للخواطر وتماهيه معها في إطار عملية التفكير التي يقودها العقل، ومن خلال تفاعله مع المشاعر والأحاسيس التي يتأثر بها كل ذلك، وعند تشتت كينونة الذات ينتج عنه تعريف زائف للذات على أنها الصوت الداخلي وما ينتج عنه، ومع استمرار الإنسان في جمع شتات

مراقبه الداخلي وعبر المراحل المختلفة من خلال ممارسة تقنيات التأمل وغيرها، فإنه يبدأ ومن جديد باكتشاف حقيقة صمته الداخلي، في حين يبدأ فيه صوت العقل بالتلاشي مفسحا المجال للإلهام وتلك الحالة من الصمت والسكون التي تنشأ كنتيجة للاتصال بالذات الحقيقية والمستويات الأعلى في إطار الكل الموحد أو ما يعرف بالوعي الصافي.

إن محاولة الوصول لحالة الصمت والسكون الداخلي هي التعبير الدقيق عن الهدف النهائي لكل محاولات الاستنارة والسير على درجات سلم الوعي، فإن حقيقة اتصالنا بذاتنا الحقيقية من جهة، وبالذات الكلية من جهة أخرى وحتى بالله سبحانه وتعالى، كلها تدور حول إفراغ العقل من الخواطر والأفكار، وإفراغ الجسد من المشاعر والأحاسيس استعدادا لتلك الحالة من الاتصال، والتي تتخطى كل هذا. إن الصمت والسكون هو الشهود التام لحقيقة الذات والوجود والذي يعبر عن معادلة «الصفير المطلق» تلك المعادلة التي تعبر عن المتناقضات الثنائية بين حالة الموت والولادة من جديد في حالة الصفير الذي تنشأ عنها أو فيها كل الاحتمالات.

2

نار «الإيقو» ونور الوعي

((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8))

قرآن كريم - سورة الشمس

ما بين «الإيقو» والوعي

نحو الذات والذات المزيفة

الذات هي التعبير عن حقيقة من تكون وذلك في إطار علاقة سليمة تربط بين كينونة الذات وبين الجسد والعقل، وعند هذه المرحلة فإننا سوف نتطرق لمفهوم شديد الأهمية رغم أنه مطروق لدى الكثيرين، إلا أن فيه الكثير من اللقط والاختلاف، ألا وهو مفهوم الروح والتي تجنبنا الخوض فيها حتى هذه المرحلة، ذلك لأن ما سنطرحه فيه القليل من التطرف، حيث أننا نتصورها هي المرحلة التي تجمع فيها كينونة الذات شتاتها تماما، وتكون في حالة من التناغم مع العقل والجسد. ومن هنا فإن الروح ما هي إلا أعلى يمكن أن تصل إليها كينونة الذات، والتي هي روحانية في أصل التكوين، ولكنها فقدت هذه السمة بتشتتها وراء الصوت الداخلي للعقل والجسد، لذلك فإنها عندما تعود من جديد إلى حالتها الأصلية فإنها تتذكر وبشكل تلقائي طبيعتها وحقيقة اتصالها الصامت مع الروح الكلية.

وإذا كانت الذات هي تعبير عن هذا النوع من العلاقة السليمة بين هذه المكونات، فإن الخلل في هذه العلاقة تنتج عنه ذات مزيفة

شديدة التشويه على حسب درجة هذا الخلل، والتي يصطلح عليها بـ(الإيقو) (Ego) في عرفنا الحديث، بينما يشمل هذا المسمى الكثير من المصطلحات في مورثنا الديني والاجتماعي، والذي يتناول وصفا لهذا الخلل أو يحاول تعريف مصدره، مثل النفس الأتارة بالسوء والقرين والكبر والغرور وغيرها. وبعيدا عن الخوض في الفروقات بين هذه المصطلحات، فإن هذه الذات المزيفة (الإيقو) تقوم بتعريف نفسها عقليا من خلال الصوت الداخلي على أساس المقتنيات وعمليات المقارنة والصراع المستمر مع الآخر من أجل إثبات الذات، وفي ظل الطبيعة الفانية لهذا العالم المحكوم بقانون الثنائية فإن (الإيقو) ما يلبث أن ينتهي من معركة حتى يدخل في أخرى، فالجيد يتحول إلى سيء، ووراء كل هدف هنالك آخر وكل مقارنة مع شخص تفتح الباب لآخرين. ولأن طبيعة (الإيقو) تعتمد على العقل المحدود والمشروط بشروط هذا البعد من الوجود، فإنه لا يستطيع إلا أن يرى وجهها واحدا من الحقيقة الثنائية، فعندما يقارن مقتنياته بالآخرين فإنه يقع في فخ مقارنة الأسوأ مما لديه بالأفضل مما لدى الآخرين، وهكذا في متوالية صراعية تهدف في مقامها الأول إلى استمرار بقائه ومن خلال اصطناع الصراع الداخلي والخارجي مع مكونات هذا العالم.

كذلك فإن من مشكلة (الإيقو) والتي تظهر كمتلازمة لوجوده، هي تلك التي طرحها المستنير «إيكارت تول» والتي سماها بـ(كتلة الألم) وقد تطرق لها بالكثير من التفصيل في كتابه «أرض جديدة» وهي تعبير عن كيان له إرادة منفصلة يعيش داخل الإنسان ويتغذى على الألم والمعاناة، وقد عزا «إيكارت» ظهور هذا الكيان إلى الصراع والألم الذي عاشته البشرية على مر العصور. وأيا كانت الخلفية لظهور هذا الكيان ومدى إثبات وجوده، فنحن لدينا آثار ظاهرة له وتصور واضح للعلاقة

التي تربطه بالذات المزيفة أو (الإيقو). إن كتلة الألم هي عبارة عن كيان يناضل بدعم كبير من (الإيقو) من أجل أن يستمر في البقاء وذلك باستخدام الصراع والألم، وهو فقط يختلف عن (الإيقو) في أنه يتغذى فقط على هذا النوع من المشاعر، بينما (الإيقو) يعيش ويتغذى من خلال محاولة إثبات ذاته سواءً من خلال المتعة أو الألم أو أي شكل من أشكال الشئانية، فهو مهتم بالصراع مع الآخر أو مع الذات من أجل إثباته ذاته المزيفة بشكل مستمر.

النار والنور

إن ذلك الانتصار المزعوم والأفضلية الخادعة للأنا المزيفة على الآخر ماهي إلا نار تجتاح هذه الذات المزيفة مخلقة وراءها الألم والمعاناة الداخلية، ولذلك ما أن تنتهي لحظات التغييب الكامل التي تخلقها هذه الذات من خلال الفرحة المزيفة بالانتصار أو ادعاء الأفضلية أو غيرها، حتى يبدأ الألم الداخلي بالبروز من جديد ليوضح لنا كيف أن ذلك الشعاع ما هو إلا نتاج احتراق هذه الذات وتألها في العمق، وفي حين أن الاستنارة هي إشعاع الذات النقية مستمداً من طبيعتها الشفافة ومن نور الله فيها، فإن الذات المزيفة وكلما اشتدت ظلمتها فإنها لا تشع، إنما تحترق محتفلة بانتصار مزيف أو قيمة واهية على حساب آخر ما هو إلا جزء من الكل الذي هو جزء منها أيضاً، وما هذا النور إلا تعبير عن تراكم ظلماتها وابتعادها عن نورها الحقيقي وعن الاتصال بالذات.

إن النار في واقعنا هي اللفظة الأكثر صراحة في وصف القيم المزيفة التي صارت العنوان الأبرز لسلوكيات الأنا في واقعنا حتى ولو كانت تحت مسميات برّاقة، فلو أخذنا التضحية مثلاً، فما هي في أغلب

الأحيان إلا ظلم للشخص الأكثر استحقاقا للإنقاذ، إنها ظلم الشخص نفسه من أجل إنقاذ الآخر، وأنها تعبير عن توتر العلاقة مع الذات، فإن أغلب أولئك الذين يحترقون من أجل الآخرين إنما يبحثون عن الاحتراف، وفي حين أنهم يقدمون الغالي والنفيس للآخرين فإنه يكون من أجل أشياء صغيرة، كأن يعاني شخص أشد المعاناة أو يضحى بحياته من أجل سعادة آخر، وفي نفس الوقت فإن هذا الآخر قد لا يعرف أو حتى ليس لديه من التقدير والاحترام لهذا المضحّي إلا القليل. فإن كل محاولات التضحية وتفضيل الآخر على الأنا إنما هي دلالة على الجهل بالذات والإجحاف في حقها، ولسنا هنا بصدد الدعوة للأناية أو شيء من ذلك، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه، ولأنه طالما كانت هذه القيم محل الريبة والشك حتى خرج علينا من الناس من يجرم في حق نفسه ومن يعاني عمرا كاملا من أجل الآخرين، ومن ينتظرون حياة أو ربما حيوات احترام لا يأتي حتى يتصالحوا مع أنفسهم، وعندها فقط فإنهم سوف يستطيعون تقديم المساعدة الحقة لأنفسهم والآخرين بدون أن يحترقوا، وسيكونون أصحاب دور مهم في حياة الآخرين وأكثر نفعاً وبركة.

يكمن الفرق بين النور والنار في شكل العلاقة بين الفرد وذاته وفي النية التي تحرك العقل، فما أحوجنا اليوم إلى تلك اللطافة للذات الحقيقية التي تتسم بالشفافية أكثر من حوجتنا إلى الذين يحترقون أو يضحون بأنفسهم، أيًا كانت مبرراتهم وما يصوغونه من أعذار وحجج، فإننا في حاجة إلى المزيد من التعاطف والحب والسلام.

كيف نعرف؟

إن كان هذا نوراً أو ناراً تتأجج في داخلنا، كيف نفرق بينهما؟ وما إن

كانت ذاتنا حقيقية أو خدعة جديدة يوقدها (الإيقو) من أجل مواصلة معركته من خلالنا في هذا العالم؟ إن الأمر جد بسيط لدرجة أن أي شخص بإمكانه معرفته، فقط لو أراد وبدون مساعدة أي أحد، عليه بالاستماع إلى صوت القلب واتباع الإلهام القادم من الروح، وإلى الصمت المترسخ بين أنفاسنا، وإلى تلك السككات التي تتخلل أفكارنا ومشاعرنا. إن سمات الذات الحقيقية واضحة وستعرفها لأنها هي أنت ولا أحد سواك.

وقبل أن نغادر هذه المحطة فإننا نضيف أن الدافع الرئيسي للفعل أو اللافعل الذي ينبع من الذات هو الحب المطلق وغير المشروط، وفي حين أن الذات المزيفة تتصرف من منطلق خوف مستمر ومحاولة للدفاع والحماية؛ وبرغم أنها قد تنجح في تشتيت كينونة الذات، فهي مع ذلك تظل محافظة على حقيقتها الفانية وعلى ذلك الخوف النابع من حقيقة فنائها، ولكن حتى في هذه الجزئية فهناك خدعة بسيطة، ألا وهي أنه حتى هذا الفناء إنما هو تحوّل لصفاتها وخصائصها من أجل الاندماج مع الكل المطلق، ومن أجل تخطي كونها ظلا غير حقيقي للحقيقة الأكبر، فما الخوف إلا ظل للحب.

إن النار والنور هما دلالة، ولكن وفي العمق، فأنت تعرف كل شيء عن هذا، وعند التواصل مع حقيقة من تكون فلا يهم أن كنت نارا أو نورا، فتلك الذات التي تمتلكها لا يمكن لها أن تحترق؛ وعندما يجتمع شتاتها في هذه اللحظة؛ وعندما يكون الوعي الكلي حاضرا من خلالها، سوف تولد من جديد بكل سمات تلك الحقيقة التي لا يبددها شيء ولا يغيرها مغير، حتى أنك تتجاوز عالمك الفردي إلى عوالم آخرين، لتشع لهم نورا يهديهم هم أيضا، ليعودوا من جديد إلى حضرتها المقدسة.

الرغبة عند القيمة صفر

التفكير والاختيار

إن عملية التفكير كما أسلفنا هي نتاج الحوار الذي يدور في داخل عقولنا ما بين مكونات لاوعينا الخاص والتي تمثل الذاكرة، وبين ما يلتقطه عقلنا من خلال عملية استقباله المعلومات وتحليلها، وبصورة أساسية استقباله الخواطر والتي هي موجات تحوم في الفضاء من حولنا وعلى حسب المستوى الذبذبي للفرد ومرحلته. وإن ما يقوم به الإنسان وبصورة فعلية هو الخلق والاختيار، ثم التعامل مع نتيجة هذا الخيار حتى وإن كان يشمل خيارات جديدة، لذلك نجد أن مسألة التفكير بالنسبة للإنسان تقودنا إلى هذه المستويات الثلاثة، وهي:

١ . التسيير (الإجبار).

٢ . التخيير (الاختيار).

٣ . الحرية (الخلق).

وعندما نتناول كل واحدة منها على حدة، فإننا سنجد أن الكثير من المدارس لا تذهب إلى ما ذهبنا إليه من أن ماهية الإنسان تكمن في الثلاثة مستويات معاً، بل إننا نجد أن بعضها يحصر تعامل الإنسان مع مستوى واحد فقط، وفي حقيقة الأمر أنه حتى من وجهة نظرنا فإن

مستوى الوعي لدى الفرد قد يؤيد ما تذهب إليه هذه المدارس، ولكن الصورة العامة التي نراها للإنسان كذات قابلة للتحقيق من خلال جمع شتاتها وصولاً إلى مرحلة الاستنارة تحتم علينا افتراض أن الإنسان يتعامل مع هذه المستويات الثلاثة.

إن الفرضية التي تقول بالتسيير المطلق للإنسان وراءها إقرار بأن خيارات الإنسان محسومة من قبل آخر، وإن ما يقوم به ما هو إلا إعادة تمثيل لهذه الخيارات، ورغم الرفض الظاهر لهذا الاحتمال فإننا نرى فيه أيضاً ومن منطلق فرضية أنه يحقق الاختيار بشكل مطلق، فمهما كان ذلك الذي يحدد خيار الإنسان فلا مناص من تقبله كذات حقيقية له، ولذلك نجد مدارس روحية بل وشديدة التقدّم تدين بهذا المفهوم، وربما بالتداخل مع افتراضات أخرى مثل الحكمة المطلقة أو الكارما والحيوات المتعددة، وإن كنا في هذا الطرح لا نتبني هذا التصور بالشكل الذي يفترض التسيير في اختيارات الإنسان لما نجد من دلالات وبراهين لغير ذلك، فإننا كذلك نقر بوجود حالات يحدث فيها، وربما هو ملازم لمستويات الوعي المنخفض، فالذات المزيفة بطبيعتها سجيئة للشائبة وقانونها، ولذلك فكثيراً ما تغيب عنها فرصة الخيارات أو حتى إدراك الواقع، وإن كنا مازلنا لا نسلم بأن ذلك جزء من عملية التسيير بل هو الطريق والمسار نحو حقيقة التخيير، وحتى حقيقة أن الإنسان في أعلى درجات وعيه في مستوى الاستنارة قادر على خلق خيارات جديدة، وذلك من خلال اتصاله بالذات الكلية والتي تنشأ عنها كل الاحتمالات. إن الحرية هي في عملية التواصل مع الذات والمشاركة في خلق الاحتمالات غير المحدودة، وهي وبكل تأكيد حتى عند نسبتها إلى الإنسان فإنها فقط للدلالة على مشاركة ذاته في عملية الاتصال، وهي إشارة إلى نسبة الذات إلى الذات الكلية، ولكن بكل تأكيد فإن

هذه العملية ليس شخصية بأي حال من الأحوال، فالله وحده هو الذي يخلق الأشياء، وإنما هذه السمة للذات الكلية من منطلق اتصالها هي الآخري به تعالى.

ولذلك فإن نسبة خلقنا الاحتمالات للإنسان وبتصورنا الحالي للإنسانية وماهيتها، فيه الكثير من المجازفة وربما حتى التعارض مع حرية الإنسان في الاختيار ومفهومنا لماهية هذا الاختيار، ومع كل ذلك فإننا نسلّم بأن هذه المفاهيم الثلاثة متداخلة في إطار يعمل فيه الإنسان ككل يقوم بتبني الواقع والرغبة فيه، من خلال ما يقوم به بشكل بالغ التعقيد مبني على الفكر والمعرفة والخبرات الحياتية ونوع الظروف التي يعيشها الإنسان ومستوى وعيه وغيرها من الأشياء التي تؤثر على هذه العملية، والتي تعد هي الأكثر تأثيراً على عملنا، والتي سوف نطلق عليها «الرغبة»، وأياً كانت التسمية التي تعرف بها في مواضع أخرى سواءً كانت نية أو إرادة أو مشيئة أو غيرها، فسنحاول توضيح الفروق في مواضع أخرى.

الرغبة عند القيمة (صفر/واحد)

إن الرغبة هي اختيار الإنسان لأمر ما وإرادته ليكون جزءاً من عالمه، هذا الأمر قد يكون شيئاً أو فعلاً أو حالة أو صفة أو غير ذلك، وهو اختيار مصحوب بمشاعر لها ذبذبات معينة، وهذا الاختيار ونوع المشاعر المصحوبة به يكون مبني على أساس عملية تقييم داخلية وخارجية بالغة الدقة والتعقيد. ولعرضها بأبسط صورة لها، مثلاً عندما يرغب شخص ما بأمر معين، وتكون هذه الرغبة شديدة الإلحاح، فإن هذا يظهر في داخله على شكل قيمة عالية لهذا المرغوب، وقد يدمج إليه ضرورة الحصول عليه، وإنه سوف يكون مكتملاً للذات أو إضافة

لها، وبهذا فإنه يتم تغييب القيمة الحقيقية للذات على أساس التقييم الخارجي المنخفض للواقع، بسبب نقصان أو فقدان هذا المرغوب فيه، وهذه هي الحالة غير الصحية للرجبة. بينما يمكن أن يكون هنالك شكل آخر للرجبة على أساس علاقة صحيحة مع الذات الحقيقية، ولذلك فقد قسّمنا الرجبة إلى مستويين على أساس القيمة التي تأخذها مقارنة بالذات، وعلى فرضية ثنائية القيمة (صفر/ واحد)، فعندما يتم تقييم الرجبة باعتبارها قيمة تضاف للذات أو تؤثر عليها، فإنها تأخذ القيمة واحد، وعندما يكون الإنسان في حالة رضاء تام وتصالح مع الذات- بغض النظر عن تحقق الرجبة- في هذه الحالة فإن الرجبة تأخذ القيمة صفر. لذلك فإن رغباتنا التي تأخذ قيبا تقترب من الواحد تقلل من تقييمنا الذاتي، بينما كلما زاد تقييمنا الذاتي كلما اتجهت قيمة رغباتنا نحو الصفر.

وعند إمعان النظر في الأمر، فإننا نجد أن روحانيين كبار أمثال «المبجل بوذا» عندما يتحدث عن المعاناة فإنه ينسبها إلى الرجبة بشكل أساسي، ويصفها بأنها السبب الأساسي للمعاناة. بينما يصف التحرر أو الاستنارة بأنها مرحلة التحرر من الرغبات. وليس ببعيد عن هذا الاتجاه ما يذهب إليه الدين الإسلامي في النظر إلى الرغبات وغيرها، ليس ببعيد عن الكثير من المدارس الروحية والفلسفية. بينما وبالعودة إلى الروحانيين المعاصرين وحتى غيرهم، نجد أن مدارس تدعو إلى الرجبة بل وحتى أن بعضهم عدّها مقصدا روحانيا أمثال «إبراهيم هيكس» والذي يعدها امتدادا لرجبة الكون في التوسع وجزءا من رجبة الإله، وغيرهم من المعاصرين الذين تدور أعمالهم وكتاباتهم حول الرجبة وتحقيقها وعلاقة ذلك بالروحانية وحتى الاستنارة.

إن المزمع الأساسي لما قمنا به من تقييم الرغبة (صفر - واحد): هو أننا نرى أن ما سبق ما هو إلا اختلاف في استخدام المصطلحات، أكثر منه على حقيقة القيم وطريقة التعامل معها، كذلك فإننا نستند على جزء كبير مما يطرحه العالم الروسي «فاديم زيلاند» في هذا السياق، فنرى أن أصحاب المدرسة الأولى إنما يتناولون الرغبة عند القيمة واحد، والتي تضر بتقييم الإنسان لذاته وعلاقته بها، بينما الآخرون يتناولون الرغبة عند القيمة صفر، والتي لاحقاً صارت تطرح تحت عنوان آخر هو «النية» والتي تأخذ شكلاً وصياغة مختلفة في أطروحات أصحاب المدارس الروحية.

إن كل ما نطرحه هنا يدور حول أن إدراك الإنسان لقيمة ذاته الحقيقية يجنبه الكثير من الألم والمعاناة، بحيث يضمن أن رغباته لن تأخذ القيمة واحد، والتي بالإضافة إلى معاناته الداخلية من هذا الشكل غير السوي للعلاقة بالذات، فهي كذلك تتسبب في صعوبة تحقيق هذه الرغبة، بسبب طاقة الصراع التي سوف تصدر عن هذا الشخص، بالإضافة إلى النظام الكوني الذي سوف يتدخل من أجل إصلاح هذا الخطأ، من خلال حرمان هذا الشخص من رغبته لأجل إدراك القيمة الحقيقية لذاته، بعيداً عن أي أشياء خارجية، وعلى عكس ذلك فإن الرغبة عند القيمة صفر والتي تأخذ طاقة لطيفة نابعة عن علاقة الفرد بها وبذاته التي تساعد على تحقيقها.

مآلات وتحولات الرغبة

إن الرغبة التي تأخذ القيمة واحد، سرعان ما تتحول إلى صراع داخلي، وشكل من أشكال المعاناة الداخلية والخارجية، وهكذا يبدأ

الإنسان ومن خلال الإدراك المتولّد من ذاته المزيفة بالارتباط بهذه الرغبة، وتزداد حاجته لها من أجل كمال ذاته والإضافة لها، وبذلك يفقد الكثير من طاقته في هذا الصراع المتواصل من أجل تحقيق هدفه بلا طائل، فهو يبتعد عنه يوماً بعد يوم بسبب النظام الذي يحاول مساعدته على الاستفاقة والالتفات إلى ذاته، ومن أجل إدراك قيمتها الحقيقية. وعلى عكس ذلك فإن تلك الرغبة عند القيمة صفر والتي تحولت إلى نية صافية وفعل باتجاهها، ومن خلال نظام الكون الداعم لها سرعان ما تتجلى في حركة متبادلة بين الذات وبين الكون الذي يلي رغباتها.

إن الرغبة التي تتحول إلى نية وفعل هي الرغبة غير المبالغ في تقييمها، ومن خلال هذه الحركة فإنه يتم تبديد كل الهواجس تجاهها، وعلى عكس ما يحدث في الحالة الأخرى «غير المتوازنة» من المبالغة في تقييم موضوع الرغبة، حيث أنها تتحول إلى طاقة فكرية متراكمة تولّد الكثير من الشكوك والمخاوف تجاه الرغبة وتجاه الذات، وتولّد صراعا مع الطاقة في مسار الاحتمالات الذي تشمله الرغبة المعينة، والذي بدوره يظهر في شكل صعوبة تحقق الرغبة وفي المعاناة المترافقة مع تجلّيها.

إن رغبة الإنسان هي التعبير البليغ عن رغبة الكون في التمدد والتطور اللانهائي، لذلك فعندما ينسجم الإنسان مع الوعي الكلي للكون فإن رغبته تتحول وبشكل تلقائي إلى حالة روحية، بينما هي لا تحمل تلك القيمة المبالغ فيها مع ثقة بالغة، بأن ظهورها هو الوعد بتجليها، فكذا وكما يستمر الكون في عملية نموه تستمر رغبات الإنسان المستنير في التجلي كما يستمر هو في طريق نموه نحو الكمال المطلق.

قيمة الذات الحقيقية

لن يتألم من أتمّ الرحلة.. متحرراً من الحزن.. متحرراً
من كل شيء.. منعتما من الأغلال كلها.

«المبجل بوذا»

ظلال الراهن

ومن منا لم يمر بطفولة مؤلمة؟ فحتى أولئك المرفهون لديهم من
العاهات في الطفولة ما يكفي، فكل شخص وعند أول احتكاك له مع
قوانين هذا العالم الثنائي، تنشأ لديه معاناة داخلية في إطار طبيعته، ولأن
الطفولة مرحلة شديدة الخصوصية وفيها تكون بدايات تكوين معالم
اللاواعي لدى الفرد، ولأن الطفل يكون أكثر شفافية وقابلية للتلقي،
فإن المحيطين به ينقلون له بصورة واعية وغير واعية الكثير من عاهاتهم
وآرائهم المشوهة للواقع.

إن واقع الناس ما هو إلا إعادة تشغيل لمرحلة الطفولة وبصورة
خاصة تلك الفترة ما بين الميلاد وعمر السادسة، وبأشكال مختلفة تتغير

فيها الأدوار ومسميات الأشياء في الحد الأدنى لهذه العملية من التغيير، مع المحافظة على البنية التي تمثل نفس الصراعات والعقد. إن الراهن ما هو إلا ظلال لتلك المرحلة والرؤية الخاصة التي عايشها الفرد فيها وفق خصوصية تكوينه وبيئته التي وجد بها، يضاف إليها موضوع «الكارما» والذي رغم أننا لسنا بصدد تناول تفصيلاته في هذا الكتاب، فإنه الافتراض القائم على أن الذات تعيش حيوات عديدة في مسار يهدف إلى التطهير من أجل الرجوع إلى المصدر الأساسي، والتي من منطلقها فإن كل حياة يعيها الإنسان تكون متأثرة بالتي قبلها، ووارثة منها للمحصلة في عملية تمثل نظام الحساب والتصفية على أساس الثواب والعقاب، ومن منطلق أن الحب الإلهي هو الهدف النهائي، وأن المعاناة عملية تهدف لتطهير الروح والعقل والجسد.

كلنا مليؤون بالآلام وعقد ورثناها عن الماضي، بداية بالبذرات الأولى التي أوجدتها الطفولة وبكل إضافة أو تحديث بسبب الظروف أو الأحداث التي تتجلى على المراحل الحياتية المختلفة، ولكن من بين كل تلك المشكلات التي ورثناها توجد نقطة محورية وجوهرية في كل أشكال الخلل الداخلي، وهي تلك المتعلقة بعلاقتنا بذواتنا وتقييمنا لها، وبكل أشكال اختلاف الأعراض لهذا النوع من الخلل، فإنه هو المسبب الأساسي للمعاناة والذي سوف يلاحق واقعا في كل شكل ناشئ أو واقع متجلى في حياتنا من أجل التصالح وإعلان التفاهم وصولاً لعلاقة متصالحة مع الذات وبداية لرحلة حياة سليمة.

مراقبة العقل والاستمرار في الاستماع للجسد ومواصلة التأمل، هي الخطوة الأولى وبداية السلم للوقوف على حقيقة الخلل المتجذر

في علاقتنا بذواتنا وفي تقييمنا لها، إنها فرصة لإعادة النظر في الواقع بكل مكوناته من أجل اكتشاف تلك الرسائل التي تحملها الأحداث والظروف لنا، لاكتشاف الصراع الموجود فينا تجاه ذواتنا، ومن خلال ذلك فإننا وبكل تأكيد سوف نبدأ بملاحظة الغضب والألم وربما حتى الكراهية والخوف المتجذر فينا، ولكنها هي أولى مراحل التشافي الحقيقي.

القبول ورحلة التصالح

إن كنت تعاني وواقعك لا يرضيك، ومازلت تبحث عن آخر لتلقي باللوم عليه، فأنت حتماً تسير في الطريق الخاطئ، وليس نحو ما تريد، لأنه وبكل بساطة إن تعريفنا للصواب والخطأ، هو أن الصواب ما يوصلك لما تريد، والخطأ هو ما لا يفعل. لذلك فإن إنكار مشكلتك الداخلية، ونسبة مشاكل واقعك إلى آخر خارجك، أياً كان شخصاً أو ظرفاً أو غيره، فما هذا الإسقاط إلا دائرة مغلقة من الألم والمعاناة تبعدك عن خط الحياة الذي يوصلك لما تريد، لذلك فإن أول خطوة للخروج من هذه الدائرة هي مواجهة نفسك والاعتراف بهذا الألم وتلك المعاناة في داخلك وفي علاقتك مع ذاتك، وأن تتقبل أن كل هذا وفي هذه المرحلة جزء من البرنامج في داخلك، والذي يقود حياتك ويشكل واقعك بكل تعقيداته والمعاناة الموجودة فيه، كذلك فإنك أنت ولا أحد سواك من تشكل واقعك، والمتسبب الرئيسي في كل شيء فيه.



صورة من فيلم «الرجال أक्स»: أيام القادم الماضي
(X-Men: Days of Future Past)

تشارلز. المستقبلي:

ليس المهم ما تخشاه.. إنه ألك أنت يا (تشارلز) وكما هو
مخيف لك، ذلك الألم سيجعلك أقوى.. لو سمحت لنفسك
بالشعور به... تقبله سوف يجعلك أقوى مما تتخيل. إنها
أعظم عطية لدينا بجمل المهم دون أن ننكسر.

فقط إعلانك عن تحمل مسؤولية واقعك، والاعتراف به يجمع
شتات كينونة الذات، ويهيب تلك الطاقة الخفية من أجل التغيير وصناعة
واقع مختلف، هو الواقع الذي تريد. ولكن ولكي أصدقك القول فإنني
أنصحك وفي هذه المرحلة بالذات بعدم الرغبة في صناعة واقع جديد أو
السعي المستحدث وراء هدف أو غاية، وذلك فقط بشكل مؤقت حتى
تتجاوز صراعاتك الداخلية وتحسن من علاقتك بذاتك، لأن أي شيء
آخر سوف يكون مشتتا للمراقب الداخلي، وسيعمل على إعادة تعرف

لذات على أساس مزيف جديد، يكون مستمدا حتى من منطلقات روحية أو قيمة خادعة بشكل أكبر، يقودها (الإيقو) من أجل إرجاعك إلى الدائرة التي أسلفنا الحديث عنها.

وعندما تتوصل للقبول والتصالح الداخلي فإنك سوف تتخطى هذا النوع من الصراع، وبمجرد أن تضع قدمك على طريقك الخاص فسوف تكتشف كيف أن هناك شكل مختلف من الرغبات، مبني على المتعة والشغف، إنها أشياء بسيطة ولن تجد أنك تحتاج لتسميتها بالرغبات أو الأهداف، ولا حتى أن تجلس لتخطط لها، وسوف تساعدك على أن تفهم ذاتك وتفتح الباب أمام تواصل حميم معها، كما أنها وبكل بساطتها وتواصلك مع ذاتك من خلالها سوف تتجلى تلك الطاقة اللطيفة من أجل الشافي وزوال الألم والمعاناة عن علاقتك بذاتك.

التفرد صفة الحقيقي

إن التكرار هو أهم ما نلاحظه من حولنا، فالكثير من الأشياء مستنسخة من أخرى حتى الأفعال والأشخاص والطرق التي تؤدي بها الأشياء، ولا ضير في هذا بكل تأكيد في بعض الأحيان، ولكن أغلب معاناة الإنسانية اليوم في هذه العملية والتي تميز العقل، فهو غير قادر على أن يأتي بجديد، فهو يعيد توليف الأشياء رغم كونها شديدة الدقة وربما تتميز بمنطقية تتماشى مع السائد عندنا اليوم، فإنها عاجزة تماما أمام حقيقتنا والتي نصل لها عندما يتصل مراقبنا الداخلي بالمستويات العليا، فأنت عندما تبدأ بالتصالح مع ذاتك وتتوقف عن الصراع من أجل إثبات الأشياء أو نفيها فسوف تلاحظ ذلك التفرد الذي يميز

ذاتك، وهو كذلك يميز أي ذات أخرى أو أي موجود، فالتفرد هو سمة خلق الله فهو لم يكرر أي شي تفرد فيك ربها بشكل حتى أنت لم تتوقعه، عندها ستجد أن كل ما يصدر عن ذاتك يعبر عن هذه السمة، وستجد أن لديك جديدا يخصك أنت فقط لتقدمه للعالم، وكذلك ستجد هذا عند الآخرين، حتى في الظروف والأحداث التي تمر بحياتك فإنها تكون متفرّدة وتقدم لك في كل مرة رسالة جديدة من أجل استمرار تواصلك مع ذاتك ومع الوعي الكلي، لتبدأ هذه الذات بالإزدهار والنمو كلما استطاعت أن تقوم بهذا الدور الذي يميزها وتقوم بذلك الفعل الذي يعبر عن تفردّها، فإن الكون يصبح أكثر دعماً لها ولمساعيها في كل الاتجاهات، فكما نحتفي نحن بمن يقومون بواجبهم كذلك يفعل الكون.

يبدأ كل شيء بالتغيّر بمجرد التصالح مع الذات وتقبلها، أيا كان الشكل الذي يتخذه الواقع من حولها بكل تلك الأشياء التي تسبب الألم والمعاناة، وفي ظل تلك الحالة من الصمت والسكون التي تترافق مع جمع شتات كينونة الذات حتى لو كانت حالة الفوضى تعم العقل، فإن ذلك سوف يكون مؤقتاً، فهو ناتج عن الطاقة المهذورة بسبب تشتت كينونة الذات والتي سوف تعود لتنظم من جديد حالما تنشأ العلاقة السليمة مع الذات.

معادلة الزمان والمكان

حالة الوهم

إن العقل وفي أثناء استغراقه في عملية التفكير، غائب تماما عن حقيقة اللحظة الحالية، إنه دائما ما بين مراجعة الماضي من وجهة نظره للأحداث من أجل الصراع معها لاستعادة ما قد ضاع، أو من أجل الوصول إلى مأمول في المستقبل. ولكن كل هذا لا يحدث!، فلا الماضي يتغير بالألم والمعاناة عند النظر إليه، ولا حتى المستقبل يأتي بما يرضي، فكل أهداف الذات المزيفة غير كافية، فهي كالسراب كلما تقدمت خطوة باتجاهها هربت هي الأخرى إلى أبعد. إن حالة الوهم إنما هي الوصف لما يعايشه (الإيقو) في صراعه مع الأنا، والذي يمثل الحقيقة الوحيدة التي تتجلى منها كل مسميات الزمن، فما الماضي إلا وجهة نظر وما المستقبل إلا فرصة لاحتمالات لا نهاية لها.

عندما توجه انتباهك إلى الآن، تحدث يقظة كأنك تستيقظ من حلم، حلم الأفكار، حلم الماضي والمستقبل. مع وضوح كهذا؛ وبساطة كهذه؛ لن يكون هناك مجال للتسبب في المشكلات، فقط هذه اللحظة كما هي.

«إيكارت تول»

الزمان والمكان معادلة مكتملة لبعضها البعض، وما الزمن إلا وسيلة لتحديد ترتيب الأحداث والتي ما هي إلا وصف مجازي للحركة، فحيث لا توجد حركة يخنفي الزمن، لذلك فالذات الحقيقية وبطبيعتها الساكنة -تماما- متحررة من معادلة الزمان والمكان، بينما (الإيقو) في حراكه المستمر من أجل البقاء يقع تحت طائلة هذه المعادلة المتوهمة في ماضي تغيره وجهة نظر ونية المراقب، ومستقبل يحتمل عددا لا نهائيا من الاحتمالات، ومن هنا فإن الذات الحقيقية المتأصلة في "البعد الآني" والذي تخلق فيه كل الاحتمالات، تكون شاهدة على حقيقة الأشياء وحقيقة ذاتها التي تتخطى الزمان والمكان.

ولما كان التقييم للذات من أهم المحاور التي يتناولها هذا الكتاب، فإن أول ما يجب أن يقوم به الباحث عن قيمة ذاته الحقيقية هو التحرر التام من الماضي، فأيا ما كان يحدث لك وحتى تلك القصص التي تعرف بها نفسك، فإنك مختلف تماما عنها، وأيا كانت تلك المأمولات في المستقبل فإنها لن تضيف لك شيئا، لأن حالة الوهم هي الهروب من الحقيقة الوحيدة الماثلة فيما تحويه الآن من أنك ذاتٌ كاملة تماما، وإن كل هذا الحياة وما يحدث فيها، إنما فقط هي تجربة وليست من أجل قيمتك الذاتية أو تغيير حقيقتك الكاملة.

التاريخ...!! هل يعيد نفسه؟؟

طالما سمعنا هذه العبارة عن التاريخ الذي يعيد نفسه، ولربما استخدمناها في حديثنا ونحن نرى تكرار الأحداث وتجدد الظروف بنفس مضامينها مع اختلافات ظاهرية بسيطة، وكأن الحياة دائرة مغلقة، فالتاريخ عند النظر إليه ولأول وهلة، كأنه تسلسل أحداث

بنفس النمطية، ولكن عند إمعان النظر فإن هذه ليست الحقيقة الكاملة، ولا ما نظرته هنا يحمل هذا الزعم، فالحقيقة الكاملة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعبر عنها بالكلمات، ولكن فقط من منطلق تغيير وجهة النظر فإنه لا شيء جديد ولا شيء مكرر في نفس الوقت، فإن نفس المشهد المصوّر ضمن أحداث فيلم عند مشاهدته لأكثر من مرة، فإنك لا تستطيع أن تجزم بأنه كان نفسه، وقد ترى فيه أشياء جديدة، ناهيك عن تلك الأحداث بكل تفصيلاتها المختلفة وشخصياتها وخلفياتها.

إن أوجه التشابه والتكرار الذي تحمله الأحداث قد يرجع في كثير من الأحيان إلى مستوى الوعي الذي يعيشه الفرد، والفكر الذي يكون عالمه الداخلي، وكذلك الأمر بالنسبة لـ «الوعي الجمعي» للإنسانية، ونحن هنا عندما نتحدث عن الوعي الجمعي فهو مفهوم مختلف عن «الوعي الكلي». بينما الوعي الكلي يوازي الذات الحقيقية للفرد، فإن الوعي الجمعي يوازي الذات المزيفة للفرد، وهكذا، وبما أن التاريخ والنظر فيه هو تعامل مع هذا الوعي الجمعي في أغلب الأحيان والذي هو من صناعته، فلا عجب حينئذ من أن تتكرر فيه مشكلات وعقد وصراعات هذا الوعي الجمعي، وما يحركه هو الآخر والصراع من أجل الاستمرار في البقاء.

إن التاريخ هو التعبير عن تعلق الذات المزيفة للمجتمع بالماضي، وهو أيضا التعبير عن القصة الشخصية لهذا الوعي الجمعي الذي يتحدث عن نفسه وكأنه يمثل الإنسانية رغم انه يستمر متجددا تماما، وفي نفس الوقت، كأنه يعيد نفسه من أجل إيصال رسالة الانفصال الذي يعيشه هذا الوعي عن حقيقة من يكون، والتي هي الاتصال بالوعي

الكليّ الذي يعيش في "البعد الآني" وتنشأ عنه وفيه كل الأحداث. إن ما نشهده الآن وعلى مر التاريخ الإنساني من الألم والمعاناة والصراع، ما هو إلا الرسالة الصريحة، والتعبير الواضح عن هذه الحالة من الخلل في علاقة الوعي الجمعي بالمصدر الأساسي له، والذي هو الوعي الكلي.

السكون رهيب

إنه التحرر من معادلة الزمان والمكان، وكما أسلفنا فهو السمة التي تميّز الحقيقي على مستوى وعينا كأفراد أو على مستوى الوعي الذي يجمع بيننا كمجتمع إنساني، لذلك وعندما نصل لتلك المرحلة، تنعم دواخلنا بسكون رهيب، وهذا بكل تأكيد لا يعني أننا بأجسامنا وبعقولنا سنكون خارج بُعد الزمان والمكان، لا، فوجودنا المادي مرتبط بهذه المعادلة، ولكن اتصالنا بحقيقة من نكون هو الذي سوف يتجاوز هذه الدائرة، والأمر الذي بكل تأكيد سيؤثر تأثيرا كبيرا حتى على وجودنا المادي، ذلك البعد من السكون والصمت هو الذي تنشأ فيه كل الأحداث قبل تجليها للعالم المادي، والذي هو الآخر أحد تجليات ذلك البعد.

إن هذه الحالة من السكون هي داخلية، وهي الشكل الذي يمثل العلاقة السليمة لاتصالنا بذواتنا الحقيقية، لذلك إن وصولنا إلى هذه المرحلة أيضا سوف يغيّر من وجهة نظرنا كأفراد وكمجتمع للواقع الذي نعيش فيه، كما سيؤثر على التجليات في هذا الواقع.

الفهم العميق

محاولة التعرّف

إن المشكلة التي يقع فيها الكثيرون هي أنهم لا يعرفون حقيقة المشكلات التي في دواخلهم، وقد يقول قائل: إنه لا يجد معالم لتلك الذات الحقيقية -التي نتكلم عنها- من أجل التواصل معها رغم أنه قد يعترف بوجود مشكلة ما في عالمه، وبرغم أنه الآن يعترف بأنه المتسبب فيها، ولكن هذا غير مجدٍ، فعالمه كما هو لا شيء يتغيّر، حتى أنه قد يبدأ بالشك والارتياب. ما يجب أن نؤكد عليه في هذه الحالة، هو: إن هذا هو الطريق الصحيح فعلاً، نحو التعرّف على الذات. وبرغم كل ما ذكر، فإنك يجب ألا تتعجل النتائج، فلتكتفي مبدئياً بلحظة، ربما هي لحظة قراءتك لهذه الكلمات، ولتبارك هذه الحالة التي أنت فيها، والفرصة التي مُنحت لك للتواصل مع ذاتك و فرصة التعرف عليها، لتسلّم بجهلك وعدم مقدرتك على فعل شيء.

إن محاولة التعرف هي المرحلة الأولى بعد الاعتراف بأنك أنت الشخص المسؤول تجاه حياتك وتجاه كل ما يظهر في عالمك، ولكنك لابد أن تعرف أنك سوف تختار ولن تدري ماذا تفعل في البداية، وقد

تنخدع وتكرر الأمر مرات عديدة، فتظن أنك تشافيت بدون فعل أي شيء، وأنت وصلت إلى الاستنارة، لكنك ستنصدم بواقعك الذي لم يتغير، وبهذا تبدأ من جديد. فقط الاستمرار هو الذي سوف يكسر الجدار الذي يحول بينك وبين بنيتك الداخلية، وبين جمعك لشتات كينونة ذاتك من أجل الدخول إلى سرداب عقلك اللاواعي و التصالح مع رحلة التواصل من جديد.

السماح للصمت بأن يكون حاضرا

ستجد وبعد أن ظننت أنك قد وصلت إلى الكمال، ذلك الكم الهائل من الألم والمعاناة التي مازالت في داخلك، وربما تقول في نفسك أنك كنت أفضل حالا، وأن حياتك كانت أفضل، ولكن هذا غير صحيح. إنك الآن فقط، بدأت بمواجهة حقيقة الألم الذي بداخلك وبدأت الاستفاقة من الغيبوبة التي كنت فيها بسبب تشتت كينونة ذاتك، فهذا الألم وهذه المعاناة إنما كانت مكبوتة عميقا في داخلك، فتلك إحدى الحيل لعقلك اللاواعي عندما تغيب كينونة ذاتك، ولا يعرف كيف يتصرف مع المواقف و المشاعر المتولدة عنها، فإنه يبني لها سجونا ومنافي في أعماقه المظلمة، باسم حمايتك ومن أجل سلامتك ولكنها تستمر بالصراخ والألم من أجل رسالتها التي جاءت بها والمهمة التي لا بد أن تؤديها، فكل حدث أو شخص أو ظرف لديه رسالة في هذا الوجود وفي حياتك. كذلك عندما تدخل إلى ذلك البعد وتبدأ حياتك كأنها أكثر قسوة ومعاناة، فلتبشر!!!، فإن اللحظة الأكثر ظلمة من الليل هي تلك التي تسبق بزوغ الفجر. فقط فلتسمح للصمت بأن يكون حاضرا ولكينونة ذاتك.

إن المراقبة الصامتة هي سر التشافي الذي يحدث لأي حالة يمكنها أن تعتريك، وبها سوف تستطيع سماع الرسالة التي تحملها الذكريات المكبوتة، وسوف تستطيع الاستماع إلى كل جزء من جسدك أراد أن يعبر في يوم من الأيام وسلبت منه هذه الفرصة، ولكل حدث أو ظرف في حياتك، سيمر بك كل شيء بسلام حتى أنك سوف تتفاجأ بالهدوء والصمت والبهجة التي تغمر حياتك بعد كل رسالة تستقبلها، وسوف تشكر تلك الأشياء التي طالما كانت تكدر حياتك وسوف تبدأ بالاستمتاع من جديد بالحياة.

الذوبان والتلاشي

عندما تعلّم نفسك كيفية الاستماع لأملك ومعانتك، وكل تلك الأشياء التي كانت مصادر إزعاج بالنسبة لك، فسرعان ما تدرك أن كل ألم أو معاناة في داخلك إنما هي فقط مقاومتك لسريان تلك الطاقة، ومنعك لها من إيصال رسالتها لها لك، والتي هي من أجلك ومن أجل مصلحتك الخاصة، بعدها تذوب المعاناة وتبدأ في التلاشي. وعندما نقول «الذوبان» فإننا نعني ذلك، لأنها وقبل أن تتلاشى من حياتك فهي تذوب لتُضاف للأشياء الجيدة في حياتك إلى الجانب المشرق منها، ثم تتلاشى مظاهرها أو تتحول إلى عالمك المادي.

3

الأنا الآخر

(المؤمن مرآة أخيه)

-حديث شريف-

الآخر... من يكون؟

الناس... ماذا هم؟

إن الآخرين ما هم إلا جزء من «حقيقة من تكون»، يعيش كل منهم تجربة مختلفة، وبالرغم من أنك تتحد معهم في كونكم جزء من ذات كلية واحدة، فإن كل فرد له خصوصيته ورؤيته الخاصة، وعند النظر إلى الناس كمجموعة تعيش بجانبك فإن المتكون لديك ما هو إلا رؤيتك الخاصة لمحصلة مستوى الوعي لدى الآخرين وما ينتج عنه والذي تتأثر به وهذه الرؤية متأثرة تماما بما في عالمك الداخلي وبالتالي فالآخر عالم متفرد وله خصوصية في إطار يشمل الجميع بوجود افتراضي لهم في عالمك، ولك في عوالمهم. وبالنسبة لك، فالآخرون مرآة تعكس لك ما يدور في داخلك وما يجويه لا وعيك وشكل علاقتك بذاتك، كما أنهم فرصة للتواصل مع الذات الكلية بشكل مختلف، والتي نقصد بها الوعي الكلي للإنسانية.

إن الآخرين شكل من أشكال ارتباطك بالكل الموحد، فهم التجلي المادي الذي تستطيع من خلاله التعرف على ذاتك وعلى شكل العلاقة القائمة بينك وبينها، وكذلك نظرتك وتقييمك للكون وللحيز الذي

انبثقت عنه هذه الحياة، فإن أقصى درجات الروحانية هي عندما تقدّس الناس وكل شيء آخر في هذه الحياة، وتتعامل مع الله من خلالهم على أنهم ونفسك الاختبار الحقيقي لصدق تجربتك التجسّدية، ومدى إخلاصك ومحبتك لله، وتصالحك مع هذا الوجود الذي تكوّن بمشيئته.

ولقياس مدى تقدمك أو تأخرك فإن الناس مؤشرك باستمرار، وهم كذلك البوابة الأولى التي تأتيك عبرها الرسائل من الذات الكلية، ورغم أنه في كثير من الأحيان وتحت تأثيرات الوعي الجمعي، ومن منطلق تحكّمه وإرادته لواقع الأغلبية؛ يكون الناس عبئاً ثقيلاً عليك، بل وامتحاناً شديد الصعوبة، إلا أن هذا لا يخرج ولا بأي حال من الأحوال عن إطار كونهم انعكاساً مباشراً للتشوّهات في داخلك، وفي علاقتك مع حقيقة من تكون.

محاولة التعرّف

إنما هو بحث الإنسان عن حقيقة من يكون، وعن خبايا دواخله الغامضة، وفي رحلته للعودة من جديد متّحداً مع الكل الذي أتى منه والذي يشمل الوعي الكلي أو الروح الإنسانية المستمدة من روح الله، حيث النعيم المطلق واللجنة الموعودة، فما تلك الرغبة في التواصل مع الآخرين وذلك الحرص على العلاقات إلا ذلك الاشتياق إلى حقيقة الذات الكلية، التي يجتمع فيها الجميع رغم الاعتراف بحالة الفردية لكل موحد، إلا أن رغبة الاتصال بالكل والتواصل مع الأفراد تظل حاضرة ومن منطلق روحي عميق. وبرغم كل التشوّهات التي يضعها (الإيقو) يظل الآخر فرصة للنمو والتواصل مع حقيقة من نكون، ومن خلال فرصة مواجهتنا للداخل بشكل أكثر سهولة ويسراً.

تواصلنا مع الآخر وكالكثير من الأشياء تم تشويبه والتأثير عليه عن طريق الخلل الذي حل بوعينا الجمعي، فصار الصراع جزءاً من علاقتنا بالآخر، وحاجزا يحول بيننا وبين المعرفة الحقّة له ولأنفسنا المنعكسة والبارزة من خلاله. لذلك فإننا وكما أسلفنا القول في الفصول السابقة، لا بد لنا من جمع شتات مراقبنا الداخلي، عندها سنبدأ في التصالح مع ذواتنا وسيكون الآخر خير معين على الفهم والإدراك لما يدور في دواخلنا. إن محاولة تعرّفنا على الآخر ما هو إلا رحلة جديدة لتعرّف على ذواتنا الحقيقية متجسدة في آخر، والتعرف على العلاقة التي تربطنا بذواتنا. ولأولئك الذين يجدون صعوبة التأمل في بداياتهم، فإن الآخر وما تحمله دواخلنا له، هو مرآتنا الأولى ومنفذنا نحو التعرّف على ذواتنا من جديد.

التعرّف على الآخرين

عندما يكون مراقبنا الداخلي حاضرا في تواصلنا مع الآخرين ولو بحده الأدنى في البدايات، فإننا نبدأ برؤية الآخرين رغم ملاحظات (الإيقو) لنا ولهم بالأحكام والتصنيف، وهذا من خلال العادة الأكثر خللا للعقل، فهو مؤشر للموجودات في دواخلنا، فتبدأ تنهال علينا تصنيفاته بداية بملاحظة أولئك الذين نحبهم والذين لا نحبهم، ثم يستمر ذلك الصوت بلا انقطاع معبراً عن البرمجة التي ورثناها منذ الطفولة. فحتى لو استطعنا إسكات صوته داخلنا فإنه سيستمر من خلال علاقته بأجسادنا، لتظهر تلك المشاعر والأحاسيس معبرة لنا عما في الداخل، ف«كل إناء بما فيه ينضح».

إن تواصلنا مع الآخرين ومحاولات تعرّفنا عليهم هو سمة تميّز

انسانيتنا وتعبّر عن حقيقة المصدر السامي لذواتنا، فالعلاقات الإنسانية متفردة في شكلها ومضمونها عن العلاقات الأخرى، وعندما نبدأ بالتعرّف على الآخرين وفي حضرة مراقبنا الداخلي؛ فإن هذا التعرّف وهذا التواصل في حد ذاته يشكل لنا إشباعاً ومصدراً للبهجة، واستجماعاً للطاقة الداخلية. بل وإن علاقتنا كبشر ببعضنا البعض تعدّ مصدراً للإلهام، وتعطينا القوة والدافعية. ولا نكون قد بالغنا في الوصف لو نسبنا ما يشهده مجتمع الإنسانية اليوم من تطور إلى هذه السمة وإن كان في اتجاه آخر كذلك، فإن الصراع والدمار والحروب هي الأخرى تعبير عن الخلل الذي تشهده علاقتنا بالآخر، ونظرتنا لكونه آخر، وتعريفنا لـ«ماهية أخرويته».

رفقاء الرحلة

«الآخر».... كيف يكون «أنا»؟

يكمن مجمل الزعم الذي نتبناه وهو ليس جديداً، في أن الإنسانية كل موحد، لكل فرد فيه وجهة نظر خاصة، ومع ذلك فنحن ذات واحدة، لهذا دائماً ما ننظر للآخر باعتباره نفس الذات التي تعيش تجربة مختلفة برؤية مختلفة وظروف مختلفة، لذا فإن نظرتنا له أو تعاملنا معه، إنما يكون في إطار تعاملنا مع ذاتنا من منطلق حقيقة من نكون عندما نطلق عليه «أنا»، فلهذا السبب و لاختلاف وجهات النظر وظروف التجربة وحتى حرية الاختيار ودرجة الوعي بالذات الحقيقية.

إن هذه الرؤية والتي تتبناها اليوم في عالمنا العديد من المدارس الروحية والفلسفية، لا تنفي عنا حتمية الاحتراف بالاختلال الذي تشهده العلاقة الإنسانية، ولا يخفى على أحد واقعنا اليوم، فما الحروب والصراعات والدمار في هذا الكوكب إلا تعبير عن مدى تحكم الذات الزائفة التي حملت إلينا زعم الانفصال عن كل شيء وشخص في هذا الوجود، تلك الذات التي تحارب باسمنا من أجل البقاء المتوهم على حساب الآخر أياً كان، وعن طريق إقصائه وإبعاده والقضاء عليه.

هذا الآخر عندما يكون «أنا» فإنها بداية مرحلة جديدة لوجودنا كبشر، وشكل مختلف من أشكال التواصل فيما بيننا، وحتى شكل من أشكال الحياة على هذا الكوكب يعود فيه الآخر إلى حقيقة كونه «أنا»، تعود «أخرويته» إلى كونه شكل من أشكال التنوع، وفرصة من فرص الاختلاف من غير خلاف أو صراع متوهم، متوحدة مع كل شيء.

الأحباء المقربون

وهنا نتحدث عن المرحلة الأكثر خصوصية في علاقتنا بذواتنا فيما بين الحقيقي والمزيف، دعونا نتجه مباشرة إلى تلك الحيلة التي تتخذها «الذات المزيفة» فالعلاقة كثيرا ما تبدأ نقية وفي حضرة كينونة الذات، وسرعان ما يظهر (الإيقو) متخفيا فيها من أجل أن يقتات منها، فبينما تبدأ كينونة الذات بالتشتت فهو يعود من جديد ليبنى وجودا آخر متوهمًا على أساس العلاقة بـ«الآخر» ليبدأ في محاولة لبناء اشتراطات لاستمرار هذه الحالة الشعورية الناتجة عن العلاقة وضمان بقائها، فكل ذلك يُنتج شكلا مشوها من أشكال التواصل بين «الأنا» و«الأنا الآخر» محكوما بمحدودية «الذات المزيفة» غير القادرة على العطاء أو التواصل الحقيقي مع «الآخر». إن العلاقات التي تربطنا بالأحباء والمقربين هي مؤشر شديد الأهمية والخطورة، وإلى أن تأتي تلك المرحلة التي نتوحد فيها مع حقيقة من نكون، فلا بد لك من شحذ همّتك وجمع شتات كينونة ذاتك من أجل اكتشاف الفخاخ التي تنصبها «الذات الزائفة»، والتي سرعان ما ستتعوّد عليها، وسيكون من السهولة بمكان تلافيها، حتى أنك ستجد أن جسدك وعقلك يعملان لصالحك فيما بعد، ولا أبالغ إن قلت: إنه حتى «الذات الزائفة» في تلك المرحلة سوف تعمل على مساعدتك على اكتشاف خدعها.

إن الشروط والانتظارات هي المؤشر الأبسط الذي يحدد مدى سلامة العلاقة، فإن أي علاقة سليمة سوف تكون- لا نقول خالية تماما وإن كان هذا هو المطلوب- تكون شبه خالية من الشروط والانتظارات، فهي السمعة التي تميز «الأنا الزائفة» فهي دائما ما تضع شروطا لتقييم الآخرين والتعامل معهم، بالإضافة إلى توقعاتها المستمرة والتي تجعلها في حالة من الانتظار اللانهائي، لذلك فعندما تجد نفسك في علاقة مع أحد الأحباء المقربين وفي أي لحظة ينتابك الشك أو تغيب عنك البهجة في التواصل مع هذا «الآخر»، فلتجمع شتات كينونة ذاتك ولتتخلى عن أي شروط أو انتظارات، ولتغص عميقا في ذاتك الحقيقية وما تشمله لك في اللحظة الحاضرة، توقّف عن أن تهب حبك للآخرين بمقابل، أيا كان ومهما يكن هذا المقابل نبيلًا، لا تنتظره منهم، ولتحرر ذاتك من شروط الاستمرار، ولتوطن نفسك وليكن عطاؤك نابع من اتصالك بحقيقة من تكون، وبرسالتك التي تؤديها، ومظهر تفردك الذي تخدم به الآخرين من منطلق الحب المطلق، والذي يشكل الحقيقة الوحيدة والسر الأعظم لدرب الروحانيين ومسيرتهم نحو الله، وعندما تشعر بالنهاية فلترحل بهدوء وفي صمت، وليكن السلام حاضرا معك ومع الآخر.

الحب والأطراف الكثيرة

في بداية الأمر دعونا نتحدث عن النوع الأكثر انتشارا في علاقاتنا اليومية، وهي فيما يعرف بالحب من طرف واحد، والذي غالبا ما يكون مؤشرا على الاختلال الداخلي، وربما انعكاسا مباشرا لمشاعر الفقدان والحرمان وعدم الإحساس بقيمة الذات. إن الإهمال الذي يتعرض له الفرد في الطفولة أو الرسالة التي يتلقاها الطفل من سوء معاملة والديه

له، أو تفضيل أحد إخوته عليه، يمكن اعتبارها إشارة مسبقة إلى نشوء هذا النوع من الخلل. كذلك الأشكال المتطرّفة في التأنيب أو العتاب، فكل ذلك مرتبط بالشعور بالذنب والرغبة في معاقبة الذات. وحتى الغرور والكبرياء والاعتداء على الآخرين بشكل متطرّف من هذا القبيل أيضاً.

إن الاختلال الذي ينشأ في علاقتنا بذواتنا ومنذ الطفولة، سرعان ما يبدأ بالانعكاس والتجسّد في واقعنا، على عكس الدواخل والتي يعمل اللاواعي على إنكارها وتحاشي حقيقة أسباب الألم والمعاناة التي تنشأ فيه. إن العلاقات هي تلك المرأة التي تذكرك دائماً بهذا الخلل، لذلك فإن هذا النوع من العلاقة المختلة كما في حالة الحب من طرف واحد، سوف تظل تلاحقك وبنفس التفاصيل إلى أن تصل إلى تلك الحالة من التصالح مع مصدر الألم في داخلك، والجزء الذي ترفض أن تتصالح معه أو تتقبله. كذلك فإن أولئك الذين يحبونك ولا تحبهم أو يلاحقونك، فهم تعبير طيب وجميل ولكنه كذلك قد يتحول إلى فخ من خلال حالة التوازن غير الحقيقية التي يخلقها، فتلهيك عن كينونة ذاتك.

في الواقع إن المشاعر المتبادلة بين البشر شديدة النسبية، ومن الصعوبة بمكان التنبؤ بها أو قياسها، فكل شخص لديه أشخاص يكنّ لهم من الحب أكثر مما يكون له، وآخرون يكنّون له أكثر مما يكنّ لهم، في حين أن المعاناة تظهر في العلاقة عندما يتم تحويل التركيز والاهتمام إلى العلاقات المختلة، من خلال الاختيارات الخاطئة، فكل شخص لديه عدد كبير من الاحتمالات، وسيكون في مشكلة في اللحظة التي يعجز فيها عن إدراك هذه الحقيقية ويبدأ بالتشبث بآخر، على أنه آخر أمل أو

ملجأ له، وبهذا فهو يفقد الجوهر الحقيقي لأي علاقة وهي الحرية. وهنا لا بد أن نعود ونذكر أن كل هذا انعكاس، وأن التعامل الخارجي معه لا يعطي أي نتائج حقيقية، وإنما يمكن فقط جني النتائج من خلال التعامل من القنوات الداخلية، وإصلاح تشوهات العلاقة مع الذات والتي هي المصدر الأساسي لهذا الواقع.

«الأخر» الظل

إنه هذا الظل

تلك الأشياء التي نرفضها وكل أولئك الذين لا نتقبل وجودهم أو سلوكياتهم كل ذلك هو الظل والذي يظهر في حياتنا كتعبير عن حالة الرفض التي يعيشها داخلنا، وعن الخلل الذي تشهده دواخلنا في علاقاتنا، ولقد قلنا من قبل إن كل شخص أو حدث أو ظرف يتجلى في حياتك، إنما هو انعكاس، وإن ظهوره يمثل رسالة يريد أن يوصلها لك، لذا فإن الشخص الذي لا نحبه ولا نطبق وجوده في حياتنا، إنما هو الظل الذي نريد أن نتحدث عنه هنا، فهو التجلي لذلك الجزء المظلم من دواخلنا في الواقع.

ولأننا طالما واصلنا الرفض والإنكار لما في الداخل، فإن هذا الآخر المزعج الذي يظهر في واقعنا إنما هو سلطة النظام التي تجربنا على مشاهدة هذا المرفوض، رغم أن الذات المزيقة تقوم ومن خلال قيادتها للعقل بتضليلنا، بأن ترىنا الأشياء وفق تصورنا، وكما وضحنا هذا في بداية هذا الكتاب، فإن عالمنا الافتراضي تتم فيه إعادة ترتيب الأشياء على حسب تصورنا، وعندما نمعن النظر فإن هذا الآخر المرفوض إنما هو تعبير

عن تلك الأشياء المرفوضة في دواخلنا، لذلك إن رفضنا لها في الداخل يتم من خلال إنكار وجودها، وعندما تتجلى في عالمنا فإن العقل فقط يكتفي بنسبتها إلى الآخر ليشتت كينونة ذاتك عن حقيقة تواجدها فيك. إن أول ما يجب أن تسلم به ومن خلال تجربتك لا من خلال ما أمله عليك، هو أن هؤلاء الذين تكرههم أو ترفض وجودهم أو سلوكياتهم لأي درجة من الدرجات، هم انعكاس شديد المباشرة لما في دواخلك، ولتأكد من هذا فلتجلس في حالة مكثفة من الوعي، ولتراقب رداً ففلك الداخلية تجاه الآخرين وما يقومون به، ولتسأل نفسك لماذا أنت منزعج ولماذا لا تريد أن تراهم؟. و أن تسأل نفسك ما الذي يذكرك به وجودهم في حياتك، وما هي سياهم التي لا يمكنك أن تتصالح معها؟ مع أنها يمكن أن تكون فيك! وتذكر أنك عالم كامل يحتمل كل الاحتمالات، وأنتك ربما كنت أو تكون في نفس الوضع أو بنفس القناعات. اجلس بهدوء واسمح لحضورك أن يستمر معك، ولتعد تقييم علاقتك بالآخرين واضعاً في بالك كونهم انعكاساً لذاتك، وأن لديهم رسالة يوصلونها إليك، وتذكر تماماً أن ما تراه فيهم ليس هم، إنه فقط تصورك عنهم، واشكر أنهم فرصة تحرك عن ذاتك وعن الحقيقة.

نحو الحقيقة

إنها عن ذلك الآخر الذي لا تتقبل وجوده، فهو وبرغم كل شيء سر من أسرار تطورك، فقط عندما تتوقف عن الهرب منه، فهو مرآة صافية تريك دواخلك، ومع كون داخلك «ذات حقيقية» إلا أن التشوهات التي اكتسبتها مع مرور الوقت إضافة إلى اشتراطات لا وعيك؛ كل هذا شوه علاقتك مع هذه الحقيقة بدواخلك، لذلك ف«الآخر» هذا الظل بكل تشوّهاته التي تشهدها يعبر عن حقيقتك الراهنة، لذلك فلتقبل به

من جديد ولتستمع إليه ولتتعلم دروسه ورسائله التي ظهر من أجلها.
إن ظهور الأشخاص في حياتك، يكون إما من أجل رسالة معينة لتعليمك جرّاء خطأ يوجد فيك أو مشكلة محددة، وهؤلاء عندما تصلك رسالتهم يخنفون مباشر، وأمثلتهم أولئك الذين يضايقونك في الطرقات من أجل أن تنتبه لطريقك أو لتهم بأمر معين، وهم ممن لا تربطك بهم صلة قوية، إنهم فقط نوع من أنواع التنبيه، ثم يأتي بعدهم في الترتيب نوع آخر يتشاركون معك مرحلة كاملة من حياتك، يرشدونك أو يكونون سبباً لتطورك بطريق مباشر أو غير مباشر ثم يخنفون. وفي الأخير أولئك الذين تتشارك معهم رحلة حياة كاملة وهم رفاؤك والنعمة الكبرى من الله عليك، بغض النظر إن كانوا هم أولئك المحبوبين المقربين أو أولئك الذين يزعجونك لمدة حياة كاملة، إنهم رفاؤك فكن ممتناً لهم، فهم يشاركونك رسالتك وهم هدية الله لك.

دروس من الظلال

إن أولئك الذين يظهرون كظلال في عالمك، هم مبعوثون إليك ولديهم رسالة تحضّك أياً كان شكل هذه الرسالة أو مستواها بين هؤلاء الذين يظهرون لإزعاجك من آن لآخر، وأولئك المقيمون في حياتك فقط من أجل تذكيرك بأسوأ ما في الحياة، كلهم يتشاركون مهمة واحدة وهي إيقاظك من أجل لم شمل كينونة ذاتك ومن أجل إصلاح علاقتك بذاتك.

يعمل اللاواعي بنظام مبني على مصفوفة من القيم والمعتقدات، تشكّل برمجيات شديدة الدقة والتعقيد تعمل بصورة مباشرة من خلال الاتصال مع مستويات أخرى على تشكيل الواقع، وهنا تجدر الإشارة

إلى نقطة مهمة، وهي أن الإنسان وبرغم تلك الحالة من الصفاء والنقاء التي يصل إليها في حالات الحضور، إلا أنه قبل أن يصل إلى الاستنارة فإنه كثيراً ما يعود إلى الوضع الذي يتحكم فيه اللاواعي في الكثير من الأحيان، ما يعني أن حياته تظل متأثرة بمكونات اللاواعي. لذلك فإن إجراء بعض الإصلاحات على نظام القيم والمعتقدات من الخطوات المستحبة، وربما شديدة الأهمية في هذا الدرب نحو الذات الحقيقية. وفي سبيل ذلك فإن هنالك الكثير من الطرق والأساليب المطروحة للتعامل مع البرمجة وفكّها أو إعادةتها، والتي لسنا بصددّها في هذا الكتاب، وإن كنت سوف أشرح لك استخدام طريقة «التوكيدات»، خصوصاً بتلك الطريقة التي طرحتها الدكتورة «لويس هاي» في إصدارها «أفكارك تشفي حياتك»، وكذلك طريقة «المهوبونوبو» التي يطرحها الدكتور «هيو لين»، ولك أن تبحث عن طرق أخرى تناسبك وهي كثيرة ومتوفرة على الإنترنت وعلى العديد من الكتب في الأسواق والمكتبات. والجدير كذلك بالذكر أن اللاواعي بطبيعته يعيد ملء الفراغات بشكل تلقائي، لذلك فإن تلك المساحات التي سوف يفتحها داخلك إن لم تملأ بأشياء جديدة ومفيدة لك وبرامج تعمل في صالح، فإنك بكل تأكيد تتيح الفرصة من جديد للإيقو ليجد مساحات جديدة داخلك، ليعيد بها بعث ذاته المزيّفة ومن خلال عملية استرجاع لأسوأ مكونات ذاكرتك وتجاربك.

تعلّم من الظلال في كل مرة أن تجلس إلى ذاتك، أن توسّع مساحات القبول والتسامح مع نفسك والآخرين، تعلّم منه أن تعيش أسوأ الأوضاع وأن ترى النور في آخر النفق، وأن تستفيق في كل مرة أكثر قوة وأوضح طريقاً، تعلّم منهم عن نفسك والحياة، وتواصل معهم بالحب والتقدير واشكرهم ولا تنسى أن تشكر ذاتك فيهم.

الجنس محاولة للوصول

الجنس... المشكلة والحل

الطاقة الجنسية من أعلى الطاقات في الوجود، حتى أن الشاكرا^٥ الجنسية من أكثر الشاكرات نشاطا وحركة بطبيعتها، وهي شديدة الحساسية، ففي حين أنه كثير من الأحيان تكون مشاكل الشاكرات في الاضمحلال، فأغلب مشاكل هذه الشاكرات تكون متعلقة بالتوازن والهياج الذي يملكها بالإضافة إلى الانحراف الذي يمكن أن يعترى مساراتها، فهي أقرب في طبيعتها إلى الطاقة الخام والتي يمكن إعادة صياغتها وتوجيهها. ومن هنا فإن الإنسان في هذه الحالات قد يسلك مسالك الانحراف الجنسي أو الهوس أو المثلية أو غيرها من السلوكيات، والتي يمكن إطلاق الكثير من الأحكام والتصنيفات عليها، ولكن هذا ما لا نشجع عليه بالتأكيد، بل إن هذا قد يعقد الأمر ويزيد من حجم المشكلة. إن المهم حقا هو مدى رضائك عما أنت عليه ومدى تقدمك في مسارك الخاص أو نحوه، والذي عندما تجده فإنك سوف تجد الحقيقة الخاصة بك.

٥ هي مراكز الطاقة في الجسم الإنسان، وهي سبعة مراكز رغم أن البعض لديهم اعتقاد بأن عددها مختلف، إلا أن المرجح أنها سبعة مراكز، هي: -من أعلى إلى أسفل- (التاج، العين الثالثة، الحلق، القلب، الصغيرة الشمسية، الجنسية، الجذع).

نعم، إنه هو المشكلة والحل، فالجنس لكونه طاقة هائلة فإن حركتها تؤثر على سلوك الفرد، فبالإضافة إلى القوة والوفرة التي تتميز بها فلا ننسى أن أهم سماتها «الخلق»، وإنها السر الذي تتجلى من خلاله القوة الإلهية التي يبرز من خلالها استمرار الجنس البشري وعملية التوالد، وكما يمكنها أن تتحول إلى فرد يولد وينمو. وهي كذلك الطاقة التي عن طريقها ينشأ كل نوع من أنواع الإبداع الإنساني، ولهذا فلا نستغرب أن الطاقة الجنسية العالية لازمة لدى المفكرين والمبدعين وحتى الفلاسفة والروحانيين، إذ هي المؤشر على الاتصال بمصدر الطاقة الذي ينشئ الوجود الإنساني ويضمن استمراره، وبرغم رمزية الحيوانية إلا أنها كما ذكرنا متحولة بطبيعتها لذلك فبينما ارتفاعها ونشاطها يشكرتها يسبب هوسا جنسيا أو حتى اختلالا لدى الشخص غير الواعي بقدر كافٍ، فإنها قد تولد مبدعا أو مفكرا أو فيلسوفا عندما يجتمع شتات كينونة الذات متجها نحو هدف أو غاية أو حتى فقط مدركا لقيمته الحقيقية، وعلى حسب ترقّيه ومستوى وعيه تكون استفادته من هذه الطاقة ومقدرته على تحويلها.

نحو الامتزاج ب«الآخر»

إنه ذلك الحنين القديم الذي تحمله ذواتنا بالرجوع إلى توحيدها من خلال «الآخر»، والذي يمثل انعكاسها ويحمل وجوده ذكريات وحدتها ومرحلة ولادتها وتشكل فرديتها، إنها في شوق دائم وحنين متقد نحو الآخر، هذه المشاعر عندما يتم التعامل معها وتأطيرها بمكونات الوعي الجمعي من جهة، وحدود واشتراطات الوجود المادي وهذا الجسد من جهة أخرى، فإنه يمكننا إعادة تعريف الجنس، والذي سوف يأخذ اهتماما كبيرا، وقد يبدو وكأنه إعادة تعريف لهذا النوع من

الدوافع العميقة، والذي عندما نتناوله هنا فإننا نكون أقرب إلى مدرسة «فرويد»، والذي يرى فيه شكلا متحركًا في الوجود الإنساني. وبدون أن نجنح إلى تلك الرؤية، فإن ما نرمي إليه هو الشكل المتدرج للجنس وبدون تلك المبالغات أو الوسم الحيواني في إطار اشتياق الذات إلى نفسها، فحتى العناق بين أفراد الأسرة أو بين الأصدقاء أو حتى محاولة المصافحة والاقتراب من الآخرين في الطريق؛ إنما هي نوع من أنواع هذا الاشتياق، وعندما نضيفه إلى تصنيف الجنس فإننا يكون في إطار الاشتراك في نفس الدافع العميق للسلوك.

ولو عدنا إلى موضوع الجنس والذي هو تلك العلاقة شديدة الخصوصية، المتمثلة في الممارسة الحميمة التي تشمل بالإضافة إلى أشياء أخرى، تشمل أقصى درجات الاقتراب الجسدي بين الذكر والأنثى بشكل طبيعي، وبين أي إثنين من نفس النوع كشكل من أشكال الاختلال فيها، وأيا كانت رؤية المدارس التي تتفق أو تختلف معنا، فإن هذا السلوك وعند تجريده تماما من فكرة التوالد فهو يحقق تماما محاولة الامتزاج بالآخر. ولو سلمنا بذلك الدافع العميق للذات فسنخلص مباشرة إلى أن هذه العملية سوف ينتج عنها وبرغم كل شيء الكثير من الألم والإحباط للذات، في ظل حالة غياب كينونة الذات في حالات انخفاض مستوى الوعي، إذ أن هذه الممارسة بالرغم من أنها تحقق الحد المطلوب من الإشباع الجسدي والهدف الاستمراري للنوع البشري، إلا أن الكثيرين يستمرون وبلا توقف بحثا عن شخص بعد آخر حتى أنهم لا يعرفون ماذا يريدون؟، فكل شخص بالنسبة لهم غير مشبع وغير مرضٍ. وما أن تنتهي العلاقة حتى تبدأ الرغبة من جديد وكأنها بئر لا قرار لها، ولكن حتى تكرارها يصبح غير مجدٍ والتوقف عنها يبدو غير ممكن، حتى تتحول الحياة إلى شكل جديد من أشكال

المعاناة، في ظل ملاحظة سراب لا نهائي وعطش غامض في أعماق الذات تجاه رغبة مجهولة، ومحددة تجاه الآخر وغير قابلة للتحقيق. إن الجميع لا يعلمون ماذا هناك، إنهم فقط مستسلمون لكونها غريزة وأنها جزء من الطبيعة، ولكن هذا ليس كل شيء عن الأمر فإن كانت حقيقة من نكون تتحدّد على أساس العلاقة التي تربط بين العديد من المكونات؛ إذن لا يمكننا التعامل مع أحد المكونات دون إمعان النظر في البقية، وعندما تناول موضوع الجنس فهو ليس فقط بالحاجة النابعة من رغبة الجسد أو احتياجه، بل إنني أكاد أجزم أن أغلب سلوكنا الجنسي نابع من دوافع تتخطى حدود الجسد وحتى العقل، وإن كانت هذه لها تأثيراتها المعقولة. إن هذه الرغبة تنبع من ذلك البعد غير المادي، حتى في ظل وجود الذات الزائفة التي تعيد تقييم الأشياء وتعريفها، فإن ذلك الاشتياق يظل عصي الإنكار أو التجنّب. وفي حين أن غياب كينونة الذات في حالات الوعي المنخفض يجعل كل محاولات الوصول إلى الآخر غير مجدية، ومن جهة أخرى إن مجرد محاولة القيام بهذا الأمر في ظل حالة صافية من الوعي وحضور من كينونة الذات لوقت كافٍ، كفيل بتحويل حياة الفرد وحتى حقيقة علاقته بذاته وجسده ونظرتة للآخر وتعامله معه ومع الحياة.

عبر الجنس ونحو الذات

في كتابه «من الجنس إلى أعلى درجات الوعي» تحدث أوشو عن موضوع الجنس والحب بالكثير من التفصيل، حيث أشار إلى الطريق التي توصل من الجنسوية إلى العزوبة، والأخيرة التي لاتشمل بالضرورة غياب المقدرة وإنما هي فقط في الرؤية ونوع الدافع، فبينما الرغبة في الجنس هي ركض وراء سراب وعطش غير قابل للارتواء، فإن العزوبة

التي يطرحها أو شو ومن خلال ممارسة واعية للجنس، نابعة عن الحب الصافي تعبر عن حالة تنعم بممارسة نوع مختلف من الجنس بالكثير من المتعة وبدون أي شكل من أشكال الإحباط، إنها شكل من أشكال الاتصال الحميم بالآخر، والامتزاج به إلى أقصى الحدود، وإن الطريق إلى ذلك كما يشير من خلال ممارسة واعية للجنس وفي إطار من الحب والمشاعر الصادقة ولوقت كافٍ.

إن تعريفنا للجنس يشمل كونه تعبيراً عن دافع عميق للذات، بالإضافة لكونه الإطار الذي يتم به التناسل وإشباع حاجة الجسد وحتى العقل في إطار الثنائية التي تحكم عالمه من خلال النوع-الذكر والأنثى-، وهنا نشير إلى شكل الاختلاف الذي يحدث في حالات المثلية وما يشابهها. إن كل فرد بداخله هذا النوع من الطاقة التي تشمل التذكير والتأنيث (البنغ واليانغ) بشكل قد يكون متساوياً لدى الجميع، ثم أن اشتراطات هذا الوجود الثنائي هو الذي يعيد تأطير هذه الطاقة، ففي حالة الذكر وتحت شروط الجسد تتم إعادة تعريف هذه الطاقة حسب اشتراطات الحالة الثنائية، وكذلك بالنسبة للمؤنث وكل ذلك على أساس ينطلق من العقل، والذي يحكم علاقة الذات بالجسد في أغلب الأحيان ويعمل كوسيط بينها، فعندما يتعرض طفل إلى الأذى النفسي والعاطفي أو حتى سوء المعاملة الجسدية أو ما شابه، فإن هذا قد يتسبب له بنوع من أنواع الاختلال في هذه الطاقة وفي طريقة تعريفها وعلاقتها بها، هذا الخلل يوجد في المستوى اللاواعي، وبنفس الطريقة تختلف مراحل الخلل ومستوياته وحتى الأوقات التي يحدث فيها هذا الخلل. ففي حالات نادرة قد يكون هذا الخلل حتى قبل الولادة، فالطفل يتأثر وبشكل مباشر ومنذ تكوينه بالعالم الخارجي من خلال أمه، فالظروف التي تمر بها هذه الأم تؤثر على الطفل وحتى على تكوينه

الجسدي، لذلك فإن ما يلحق به من أضرار في هذه المرحلة تكون بالغة الأذى، وقد تظهر في تكوينه الجسدي.

إن التعرف على ميولنا الجنسية وتقبّل ما تحمله دواخلنا من هذه الطاقات، وأيا كانت التعريفات التي يعطيها المجتمع أو الطريقة التي يقيّم بها هذه الميول، فإن التقبّل وكما في كل أمر هو أول الطريق نحو الشكل الذي نريده، ونحو الحقيقة التي تحملها دواخلنا. إن طاقة الجنس هي طاقة هائلة وإن أي محاولة لإنكارها أو محاولة تجاهلها سرعان ما ستكشف فشلها مرة بعد مرة، بل سوف تتسبب في دائرة مفرغة من التأنيب والصراع غير المجدي مع الذات ومع حقيقة ما بداخل الفرد.

في بداية الأمر وبعد أن نعلن الاستسلام وقبول الوضع الراهن تماما، فإنني أريدك وخلال الثلاثة أشهر القادمة أن تنوي القيام بكل تلك الأشياء التي طالما كنت ترفض فعلها، وتؤنب نفسك على فعلها بعد كل مرة، هذه المرة أريدك أن تكون حاضرا في كل مرة تقوم بها مراقبا لنفسك ومحاولا التعرف على ما في داخلك، وأيا كان ما تفعله فافعله بوعي واستمتع به لأقصى الحدود، ولتشكر الله على ما تفعل أو تستغفره من أعماق قلبك، ولكن لا تحمل آلامك وتمضي بها في دروب الحياة، فقط سامح نفسك والآخرين، وثق في كرم الله وغفرانه، وتذكر دائما أن عنده الكثير من الحب والرحمة المطلقة. اعطي لنفسك الفرصة عند كل مرة تنوي فيها فعل شيء فقط لثلاثين ثانية بدون أي أفكار أو مشاعر أو حتى مع كليهما، فقط راقب وحاول في كل مرة التعرف على نفسك من جديد، وعندما تتاح لك فرصة ممارسة الجنس كن حاضرا وتعامل مع الآخر على أنه ذاتك متجلية في جسد آخر، اسمح للحظة بأن تكون خالدة وأبدية، ولاحظ كيف أن العقل يحاول سرقة النور

الذي تحتويه بالكثير من المشاعر والأفكار التي يلهيك بها، فقط راقب كل شيء وكن مستغرقا في الآخر ولتغص عميقا فيه، ولتلاحظ تلك الفراغات التي تحتويها العملية، وكيف أنك عالم وأنه عالم، وأنكما تندجان مع بعضكما البعض وأن هنالك طاقة لا نهائية تتحرر عندما تندجان وعندما تنفصلان، وكما تعرف ذلك السر في الفيزياء عن الطاقة الهائلة التي تنتج عن الانشطار النووي، عندما تنفصل ذرتان فإنك تعرف أن هناك طاقة أكبر كما في الشمس هي الهيدروجينية، تنتج عندما تندمج ذرتان، ولتدرك فقط من هذا النموذج ما الذي يعنيه أن تندمج بالآخر، فالكون نظام واحد وكل شيء يمكن أن يعطيك نفس الدرس وأن يعلمك بالتجربة.

إن الذات موجودة هنالك بينك وبين الآخر وسوف تدركها من خلال إدراكك له عند اتحادك معه أو انفصالك عنه، وعندما تتوصل للنموذج المثالي من هذه العلاقة فإن ذلك الظمأ اللانهائي سوف يختفي، وبالرغم من أنك سوف تحتفظ بجزء من هذه الرغبة وبكل إمكانياتك على القيام بهذا الأمر في كل مرة من جديد، فإنك تنتقل إلى مستوى مختلف من هذه الممارسة، وسوف تتحول إلى طقس من طقوس الروحانية وشكل من أشكال التقرب الى الله. وحتى الآخر، ستجد أن هذا يساعده، وإن لم يكن واعيا بالقدر الكافي فأن النور سوف يتسرب إلى عالمه، وإنكما في ظل هذه العملية سوف تشهدون جيلا جديدا لأطفال يولدون وهم يحملون بشرى الاستنارة ومعالمها، يولدون بذوات حقيقية ولمسة من الحب المطلق.

العلاقة المتوازنة

أنا هو

إن العلاقة المتوازنة هي الوصف المختصر لحالة المشاركة بين «الأنا» و«الأنا الآخر» لتلك المرحلة من التشافي من جروح الماضي والتلاشي لتوقعات المستقبل، إنها علاقة يملؤها الحب غير المشروط ويعمها السلام والوثام بين الجميع. عندما تستقر فينا المعرفة بذواتنا وعندما نتعامل مع «الآخر» باعتباره «أنا» في مكان آخر وفي جسد آخر، نعم عندها يكون أنا هو الآخر، فهو انعكاسي وتجلي الآخر لحقيقة من أكون، وهو موجود في عالمي من أجل تعليمي ومساعدتي لمعرفة ذاتي الحقيقية، إنه وأيا كان الشكل الذي يتخذه في هذه اللحظة، فهو هدية قيمة من الله إلي لكي ارتقي ولأعود إليه من جديد في رحلة رجوعي إليه بعد الاستنارة. (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّاتِي (30)) (سورة الفجر)، لذلك فإن إدراك أني أنا هو، هي أولى مراحل تعرّفي عليه.

إن الآخر ليس كائنا جامدا، فهو كذلك لديه ظروفه وتحدياته الداخلية والخارجية، إنه يتعامل مع المواقف التي تمر به بأفضل ما

يملك، ويقدم أفضل ما لديه في كل مرة، لذلك فعندما تدرك هذا الوضع وتتعامل معه على أساسه، فإنك لهذا لست فقط تساعد نفسك بل حتى أنت تساعده هو، وهذه المساعدة لها قيمة عالية، فهي الجنة على الأرض في الداخل والخارج، إنها ثمرة المعرفة والتواصل الحقيقي، ولأن ذاتك والكون وكل شيء يعرف حقيقتك، لذلك فعندما تساعد الآخر فأنت تساعد نفسك، وعندما تساعد أيا كان فأنت تساعد نفسك في الآخر أو الآخر في نفسك، فأنت سوف تكافأ من النظام الذي يحكم الحياة في دائرة لا نهائية من المشاركة، وكذلك الحال عندما تقوم بإنكار الآخر والصراع معه، فإن نفس الدائرة سوف تعمل ضدك وبشكل لا نهائي ولا فكاك منه، إلا بجمع شتات كينونة ذاتك وإدراك أنك أنت هو الآخر.

تواصل بصمت

لقد سيطرت علينا الكلمات رغم قرارنا المسبق بأنها عاجزة عن التعبير عنا، إلا أنها مازالت متحكّمة، فنحن مستمرون في حالة من الحديث ومحاوله متواصلة لتأطير الأشياء والظروف وحتى المشاعر في قوالب جاهزة من الكلمات، وحتى تلك المعاني التي توجد عميقا في دواخلنا، وحتى الروحانية التي لا تمت للكلمات بصلة، إننا نحاول تعليبها والتعبير عنها بالكلمات. وفي غرار هذا بدأنا نفقد الاتصال ونفقد الآخر وحتى ذواتنا، لندخل بذلك حالة من التيه والضياع غير المفهوم، لأجل ذلك توقّف قليلا صديقي، توقفي قليلا صديقتي، ولا تتسابقوا مع هذا النظام المجنون الذي يديره العقل، وسلّم بأنك لا تستطيع فعل أي شيء. في بعض الأحيان إن الاستسلام جيد، عندها فقط ستجد في حيز الصمت أنك مازلت تستطيع أن تتواصل، وأن هناك أكثر مما كنت

تتوقع، وأنت لن تفقد ذاتك أو الآخر، وحتى إن فقدتهم فستجد حقيقة أكبر بانتظارك، وعندما تعود فسيكون كل شيء بخير.

علاقتنا مليئة بالكلمات اللانهائية حتى أصبحت مزدحمة ومملوكة بالكامل للعقل، ومعنونة حتى أدق التفاصيل، لذلك فإنها مع مرور الوقت تصبح عبئا علينا وحملًا لا نستطيع تحمّله، فلا جديد فيها ولا حراك ولا تجديد. إنها سمات العقل وأسلوب عمله الموروث من الذات المزيفة، ولأن إدخال ذواتنا الحقيقية إلى العلاقة غير ممكن في ظل الثثرة المستمرة، سواء بأفواهنا أو من خلال الصوت الذي يواصل حديثه بلا انقطاع داخل رؤوسنا، لذلك فإن الحل هو باستجماع كينونة الذات والسماح للآخر بالبريق في عالمنا، وأن يكون الصمت جزءًا من الحوار الذي تديره «الأنا» مع «الآخر» أيًا كان، حبيبًا أو صديقًا أو حتى عابر سبيل.

من الصمت ينبع السر الأعظم لحقيقة وجودنا، وعندما نختبر تلك الحالة وذلك النوع من الاتصال، فإننا سوف ندرك أن كل ما نقوله هنا غير مجدي، وأن ما هناك يتخطاه تماما نحو بعد لا تعبّر عنه الكلمات، حيث الصمت والحب الذي يتخطى كل شيء آخر.

الحرية هي القيمة

إن ما ينتج عن علاقة حقيقية وعن حضور ولو كان باهتا للذات، هو المتعة والبهجة والسرور، ولكن عندما تبدأ المحاولات المستميتة للذات المزيفة في ترميم نفسها وعلى أساس هذه العلاقة، فإنها تعرّف

نفسها بالمتعة التي تنشأ في العلاقة على أنها ترتبط بالآخر، وفي الطريق بدلا من أن يكون الآخر فرصة نحو الذات ونحو الحقيقية، فإنه يتحول إلى معيق بينما تتحول العلاقة لسبب جديد من أسباب المعاناة والألم. إن (الإيقو) من خلال قيوده واشتراطاته يحاول السيطرة على الأشياء والتحكم بها، لذلك عندما تظهر المشاعر التي تعبر عن حقيقة الذات والتي هي عالية بطبيعتها، فهو يعيد تعريف هذه المشاعر ويحاول السيطرة والتحكم في وجود هذه المتعة، من خلال إرغام الآخر على البقاء وعلى التصرف بشكل معين، وبهذا تبدأ المعاناة. فهذا الآخر لديه ظروفه الخاصة وتجربته المختلفة، وما رغبتك في بقائه إلى جانبك إلا تعطيل لرحلته ورحلتك، بينما أنت بهذه الطريقة تبدأ بنسيان من تكون من جديد، وتحاول تعريف ذاتك من وجهة نظر لا تخصك بل تخص هذا الآخر، والذي لو قبل أن يبقى في مرحلتك فإنكما فقط سوف تتشاركان معاناة نسيان الذات الحقيقية، وتكونان أداة يستخدمها (الإيقو) للاستمرار من خلال تحكمه بكم، فمشاركة الآخر مالم تكن في إطار كامل من الحرية والصمت الذي يسود العلاقة في العمق، حتى مع وجود الكلمات، فإن هذه العلاقة سوف تتحول إلى حجيم حتى بكل تلك الوعود بالسعادة أو المتعة أو غيرها.

إن الحرية هي قمة هرم القيم وخصوصا في العلاقات، ولأن تلك العلاقات التي لا تتسم بالحرية يكون فيها ذلك الشكل من الارتباط الذي يعيد تعريف الذات على أساس الآخر أو العلاقة أو ما يتمخض عنها مهما يكن. وبرغم الاعتراف المسبق بأن الآخر هو أنت، إلا أن تعريفك لذاتك من وجهة نظره هو مؤشر لنوع آخر من الاختلال الذي سوف يؤدي في نهاية الأمر إلى ظهور ذات زائفة، وفي حين أن الآخر لا يمكن التحكم به؛ فإن المعاناة هي سمة هذا النوع من الارتباط به أو

تعريف الذات على أساسه. إن العلاقة المتوازنة هي تلك التي لا تقوم على التسوّل أو انتظار الآخر أو وضع شروط له، إنها حالة من التشارك بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فيكون عطاؤك بدون انتظار مقابل، وأخذك بدون اشتراط حتى على ذاتك بالعطاء، وهكذا في تشارك متواصل ومرحّب فيه بالرحيل في أي وقت، حتى لو كان هنالك ألم فسيكون تعبيراً طفيفاً سرعان ما ما يتلاشى من خلال التواصل مع الذات، وإدراك حقيقة وجود الآخر الدائم كجزء من الذات الكلية، واستمرار تجربته كـ«أنا» أخرى، ووعده الرجوع إلى الحالة الأصلية والامتزاج من جديد في كل موحد.

4

اللامحدود المطلق

أي شيء يمكنه أن يأخذك إلى السلام، أي حالة
تنشأ الآن ولا تتم مقاومتها. المعجزات تحدث عبر
التسليم.

«إيكارت تول»

الوعي الصافي

لحظات انتباه

حياتنا رحلة مستمرة بلا انقطاع، غير آبهة بنا تماما، فبينما نستطيع وبلا صعوبة تقدير درجة مشاركتنا فيها فإن أول ما نخلص إليه أننا في أغلب الأوقات تحدث لنا الحياة ونحن غائبون عنها بل وكثيرا ما نتفاجأ بها، ففي لحظة يمكن أن تجد نفسك وسط ظرف معين أو في موقف وكأنك كنت غائبا، فحتى مع وجود تلك الذاكرة التي توثق لك ما يقوم به العقل والجسد أنت تعرف تماما أن الجزء الأكثر أهمية من ذاتك كان غائبا عن المشهد، وهي فعلا كذلك كما أسلفنا في معرض حديثنا السابق، ولكننا هنا فقط نريد أن ننبه إلى أنك في ظل هذه الرحلة؛ ومهما كانت درجة تشتت كينونة ذاتك؛ فإن الجميع تعثر بهم هذه اللحظات من الانتباه والحضور بحقيقته، كشكل من أشكال الانهيار المؤقت للإيقو، والتعبير الصريح عن قصور الذات الزائفة، هي لحظات قصيرة ولكنها عندما تسترعي انتباهك فستجد أنها كافية تماما، وإنها ستفتح لك نوافذ مضيئة نحو آفاق رحبة.

إن هذه اللحظات من الانتباه الصافي تعتري الجميع بلا استثناء،

وإن كانت تبدأ قصيرة ومتفرقة لدى عامة الناس، فإن المتلمس لطريق نحو الذات الحقيقية ونحو تجميع كينونة ذاته، سيجد فيها ما يكفي، وعندما تسترعي اهتمامه بقدر كافٍ؛ وبدون مبالغة؛ فإنها سوف تبدأ بالتوسع في حياته، بينما تتكرر مرة بعد مرة سيجد أنه بدأ يتعلم كيف يولدها ويستجلبها إلى واقعه، وكيف أن ذاته الحقيقية بدأت تبرز من خلال هذه اللحظات، لتعيد تشكيل حياته ورسم واقعه، عندها تبدأ في التحول وكأنها لحظات خالدة يتوقف فيها الزمن ويتحد مع حالة من الصمت والسكون، لتمييز على أنها شيء حقيقي.

أحداث الحياة

إن الوعي الصافي موجود في كل مكان وكل زمان، يتخلل كل شيء وشخص، لذلك فإن مراقبة ما يحدث في الحياة هو كذلك فرصة للاتجاه نحو هذا الوعي الصافي. فعندما تستطيع أن تجد تلك الفراغات الصامتة التي تتخلل الحركة من حولك، فإنك سوف تتخطى حدود العقل وقيوده التي طالما قيدك بها، وستستطيع أن تجد لنفسك رؤية ووجهة نظر مميزة لما يحدث في الحياة. إن الحكمة هي ما يميز كل شيء في هذا الكون فهو نظام متقن ودقيق، لذلك فإن كل شيء له معنى بينما نحن اليوم إنسانية مشوهة، فإننا لا ندرك الحكمة التي تحتويها الأحداث والظروف التي تمر بنا، إننا حتى لا نستطيع أن ندرك ولا في إطار مزاعم الوعي والروحانية، الحكمة التي تحتويها هذا الشكل من التشويه مع تسليمنا بوجودها، وعلى كل، فيما أن كل شخص يرى العالم من منظور وعيه، فإننا سوف نخبر أنفسنا بأن هذه النسخة من رؤيتنا للعالم سوف تتغير مع تنوّرها ونمو وعينا.

إن السماح للصمت بالدخول ضمن حوارنا مع الأحداث واستجلاب كينونة الذات للشهادة عليها، يعطينا رؤية مختلفة وحتى حالة جديدة من الشعور، في ظل وعي صافٍ، واتصال بمستويات أعلى من الذات. إن هذه الرؤية لأحداث الحياة هي بدورها تعمل على تغيير الواقع وإعادة تعريفه، وعندها فإن التغيير الذي يحدث في الواقع سيؤثر بدوره على زيادة هذه الحالة، وهكذا تستمر الدائرة مستحدثة نحو الوعي الكلي، وفي اتجاه تقربنا من حقيقة من نكون، وإن كانت هذه الحركة لا تخلو من محاولات (الإيقو) المستمته لإرجاعنا من جديد إلى حالة الغيبوبة السابقة، من خلال أحكام معدة مسبقاً، وتكرار مستمر لمسميات وتصنيفات الأحداث والأشياء. إن هذا هو التحدي الذي يواجه إنسانيتنا، وإن دورنا الرئيسي هو الشهادة على هذه الثنائية حتى يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى استنارة خالية من الملاحقات.

أفكار ومشاعر

الأفكار تصاحبها مشاعر، والمشاعر تصاحبها أفكار، في ظل علاقة تربط الذات بالعقل والجسد، لذا فإن رحلتنا نحو الذات الحقيقية هي تعامل مستمر مع هذه المعادلة التي تربط ما يجول في خواطرننا باستمرار مع ما ينشأ في أجسادنا من مشاعر، وكذلك الآثار المصاحبة لكل ذلك فينا، وفي قراراتنا وطريقة تعاملنا مع ذاتنا وحتى رؤيتنا للواقع. إن المشاعر والأفكار هما إحدى الحلقات المفرغة التي يستخدمها (الإيقو) من أجل تدعيم وجوده ومن أجل الاستمرار في استراق اهتمام الذات وطاقته، فإن ما يتولد عن انجراف الذات وراء الأفكار والمشاعر هو تشتت كينونة الذات، في حين تذهب طاقته نحو الأهداف المزيفة والمزاعم المستمرة لحماية ذات زائفة ومن أجل استدامة سلامتها.

إن الطريقة السليمة في التعامل مع الحركة المستمرة للأفكار والمشاعر هي باستجماع كينونة الذات ورفع درجة الحضور وفي حين أن التعبير المفرط وحالة الانسياق وراء هذه الحركة، هو عملية غير مجدية تؤدي إلى فقدان الاتصال بالذات والمعاناة التي تنتج عنه، كذلك فإن رفض الأفكار والمشاعر وكبت ما ينتج عنها، ما هو إلا صورة معكوسة بل وأشد ضررا من عملية تتبعها والانسياق خلفها، فما هي إلا تأجيل وزيادة للظلمة التي تعم بواطن الذات. كذلك فإن التعبير السليم والمتابعة اللطيفة للأفكار والمشاعر في ظل حالة من الحضور والاتصال بما هو حقيقي في الداخل، هو أسلم الطرق، وكذلك فإنه من المهم وخصوصا في البدايات معالجة المشكلات المفصلية في علاقة الفرد مع ذاته، وعلاج المشكلات المختلفة في القيم والاعتقادات، باستخدام أي طريقة مناسبة، ثم بعد ذلك إن الوعي وحده كافٍ من أجل عملية استرجاع الحالة النقية للذات.

في حضرة الذات

التأمل المشهور

إن معرفة الإنسان لذاته طالما كانت هي المقصد النهائي لطريق الروحانيين، بينما يعتبر التأمل من أهم الأساليب التي اتبعتها كبار الفلاسفة والمعلمين منذ القدم، وهو من الأساليب المعروفة في أغلب الثقافات والفلسفات وحتى الديانات في العالم. فهو تقنية تهدف إلى تعريف الإنسان بذاته من خلال ممارسات عملية، وبرغم كونها تختلف في تفاصيلها من ثقافة إلى أخرى، إلا أن جميعها تتفق في شكل عام مكوّن من وضعية جسدية مريحة، وحالة من الصمت الخارجي للمتأمل، بالإضافة إلى محاولة تتبّع لحركة الجسم الداخلية أو لصوت العقل، بغرض الوصول إلى حالة من الصمت الداخلي التام والشهادة الكلي على العقل والجسد وحتى شهادة الذات على نفسها.

ومع أن المعرفة التفصيلية متوفرة في موضوع التأمل وطرقه وأساليبه، والتي أنصحك بالرجوع إليها بكل تأكيد، إلا أن أهم ما في الأمر هو أن تجد طريقتك الخاصة دائماً لفعل الأشياء، فإنه حتى الحقيقة ذاتها هي وجهة نظر تختلف من شخص لآخر، والطريق المؤدي إليها

شخصي، فطريق شخص آخر هو طريق جيد ولكنه لا يوصلك، فقط يمكنك أن تأخذ منه الدروس والعبر باعتبار الجزء المشترك والحقيقة الواحدة، ولكن يظل لزاما عليك أن تسعى لتجد طريقك الخاص.

إن سرّك هو تفرّدك، لذلك تأمل ولكن تذكر أن هذا التأمل عملية غير هادفة بالمعنى، وأنت كل كامل في أصلك، وإنما محاولاتك هي من أجل التذكر ومحاوله إدراك حقيقة الواقع والاختلال الذي تعيشه، فقط من أجل أن تتعلم الاستسلام. وهنا لا يفوتني أن أنبهك على أن الاستسلام هو سر التأمل، وأنه ليس بالشيء الذي يفعل، وأنت طالما تحاول فعل التأمل، فإنك تفقد مقدرتك عليه، فهو فقط حالة من السماح وتدريب متواصل على الاستسلام والتسليم لتجلي ذاتك الحقيقية.

جلسة استماع

كثيرون من يبدوون في التأمل، وبعد أن تبهرهم النتائج سرعان ما يفقدون مقدرتهم عليه من جديد، ذلك لأن الذات الزائفة تعود من جديد لتعرّفه وتبني عليه، في الوقت الذي يأبى فيه الجسد والعقل أن يستجيبا لهؤلاء الأشخاص فالذاكرة المكبوتة في اللاواعي لديها سلطة على العقل، وكذلك إن تلك المشاعر التي تُكبح وتكبّل تظل مخزونة في الجسد، رافضة لأي حالة من الصفاء أو النقاء التي تمر على العقل، في علاقة تبادلية تُنتج حالة من الانزعاج والتوتر الجسدي والنفسي، حتى يمكن أن تصل إلى أشكال الأمراض النفسية والجسدية. إن التأمل لديه المقدرة على تفريغ العقل في حالات كثيرة، ولكن ما يحتويه الجسد من ألم كبير ومشكلات محورية لا بد من تفريغها قبل كل شيء إن كنت تعاني من مشكلات جسدية أو أمراض مزمنة أو حتى عاهات، فإن أولى

الأولويات هي التعامل معها قبل الشروع في أي محاولات للتأمل أو حتى المضي قدما في البحث عن الذات.

جلسات الاستماع هي فرصة وخارج إطار التأمل المعروف، بل هي مهرب من التيه ومما اعتراه من تعاريف وتأطير في ظل العقل. إن جلسات الاستماع هي شكل بسيط لإدارة حوار مع مكونات الذات وخصوصا الجسد، فبينما يجلس الشخص أو يستلقي أو يكون في أي وضعية مريحة في مكان خالٍ من المقاطعات بقدر الإمكان، ثم يحاول الاسترخاء إلى أقصى حد ممكن، وبعد ذلك يصب كل تركيزه على الجسد بشكل هادئ وبدون ملاحظة مستمرة. إن هذه العملية وبكل تأكيد سوف تخرج عن سياقها ولعدة مرات، وإنها سوف تولد مسابقات مستمرة من الأفكار وتداعيات الذاكرة، ولكن عليك الرجوع في كل مرة إلى مراقبة الجسد ومحاولة الاستماع إليه، وفي حين أنه في بعض الأحيان سوف تبدأ بعض المشاعر والذكريات المؤلدة بالخروج، فإن الاستقبال والاستسلام لها هو أفضل ما يمكن فعله، وكذلك فإنك سوف تبدأ بملاحظة آلام وأوجاع في الجسم لم تكن تعرف عنها من قبل. إن هذه العملية تهدف إلى خلق علاقة جديدة بينك وبين جسدك، وبينك وبين عقلك من جهة أخرى. إن هذه العملية لن توصلك إلى نتائج سريعة في الغالب، وإن كان هذا ممكنا ولكنها سوف تؤسس لك وبشكل جديد لطريقة في التعامل مع جسمك ومشاعرك وأحاسيسك، كذلك فستلاحظ أنها تخدم صحتك وطريقة إدارة انفعالاتك حتى تساعدك في تحسين علاقتك بذاتك وتقديرك لها.

مشاركة الذات

في طريقك وبتطبيق كل معرفة حقيقية تتجلى في حياتك، ستبدأ بملاحظة شكل جديد ورؤية مختلفة لعلاقتك بذاتك، ستجد عالماً آخر يبدأ بالتشكل من حولك بقيم مختلفة، وعندها فإن مشاركة ذاتك في كل ماتقوم به؛ سيكون شكل من أشكال النعيم والمتعة التي لم تعتد عليها. إن هذه الذات عندما تكون حاضرة فهي تضيفي قداسة ونوعاً من المرح والمتعة المبهرة على الأشياء، فمجرد الاستلقاء أو الدردشة مع صديق، يتحول إلى سبب من أسباب الروعة والسلام الداخلي بمجرد حضور الذات فيها، كما إنها تتحول إلى شكل متجدد ينبض بالحياة في حالة من الخلود الأبدي للحظة، وتجلّ من تجليات الاتصال بالمطلق.

إن هذه التجربة التي نمر بها هي من أجل الذات ومع الذات، لذلك فإن حضورها الحقيقي يغير كل شيء ويعيد تعريفه في مشاركته تخلق الواقع وتشكله.

الجمال الكلي

رحلة إلى الأعماق

الجمال طاقة هادئة ولطيفة سارية باستمرار، إنه ذلك التنسيق والدقة والبساطة التي تبنى بها الأشياء، وهو كذلك التعبير عن انسياب النظام المقدس الذي أرساه الله في الكون وفي كل شيء، لذلك فإن ملاحظة الجمال ومشاهدته هو حالة شخصية نتاجا لحالة الصمت الداخلي وحضور كينونة الذات، وهنا قد يتساءل شخص وللهولة الأولى؛ ماذا بشأن مشاهدة الجمال التي تحدث لكل الأشخاص؟ وحتى ماذا عن الاتفاق على تقييمه أو حتى الاختلاف؟. إن الإجابة على هذا السؤال من البساطة بمكان؛ ذلك إن الجمال كما قلنا إنه حالة داخلية بالنسبة للأشخاص والأشياء، فإنه في الخارج عبارة عن تجلٍ لهذه الطاقة التي تحدثنا عنها ولشكلها الداخلي، فمن الأشياء والأشخاص ما يتسم بحضور أسر لهذه الطاقة، وحتى أن بعض الأماكن في الطبيعة فيها من طاقه الجمال بقدر ما يكفي لإسكات ما في الداخل من ضجة، وكذلك الأمر بالنسبة لبعض الأشخاص. ومن هنا تظهر ماهية الحضور الأسر للشخصية (الكاريزما) وإن كانت بطبيعتها أكثر من مجرد جمال داخلي، فهي تتبع نفس المبدأ وبغض النظر عما في داخل الآخرين وظروفهم ومستوى وعيهم، فهي عبارة عن تجلٍ أسر لحضور شخص يجبر العقل

وحتي «الأنا الزائفة» على التنحي والصمت إيدانا بحضور «الذات الحقيقية». إن ماهية جمال الفرد هي انعكاس لمدى جماله الداخلي، ومدى ملاحظته كذلك للجمال في الخارج مبني على مدى جماله الداخلي، ولاتفوتنا الإشارة إلى أن أغلب مانعرفه بالخارج على أنه جمال يكون نابع عن اختلال ومشاكل داخلية، وذلك في حالات الوعي المنخفض ومشاكل التقييم الداخلي والرغبة في إشباع النقص في «الذات الزائفة» من خلال «الأخر» والخارج.

إن مشاهدة الجمال هي غاية وهدف للروح، فالجمال هو اتصال مع روح الكون، وهو حالة إقرار بالكمال والتسليم له، وهذه الحالة تحتاج منا الرجوع إلى الذات والغوص عميقا في دواخلنا لاستخلاص ما فيها من جمال، والوصول إلى حالة الصمت الحقيقية من أجل مشاهدة جمالنا الخاص، من خلال الإقرار بتفردنا وملاحظة اللمسة الإلهية في تكويننا، وإيدانا للجمال الكلي بالتجلي في واقعنا ولأنفسنا بالمشاهدة في حضرة الذات.

جمال في كل الأشياء

إن رجوعنا إلى هذه الحقيقة في داخلنا وإقرارنا المسبق بماهية هذا الجمال، سوف يعود بنا من جديد إلى ماشهدة الجمال الخارجي، ليس فقط في الأشخاص - وإن كان ذلك يحدث - ولكن أيضا في كل شيء من حولك حتى في تلك الأماكن الموحشة حسب تعريفها المبسط وحتى في ظروف الحياة، وبعدها سنبدأ في ملاحظة اللطافة والجمال الذي تتخاطب به مكونات هذا الكون مع بعضها البعض، وكيف أن هناك تآلف يجمع الأشياء مع بعضها البعض، وكيف أن هناك حميمية حتى بين المتناقضات والأشياء المتضادة.

هو جمال في كل شيء خارجك وسره فيك، جمال نابع منك ومن اتصالك بالجمال الكلي للكون، وحتى اتصالك بالله الذي يمثل المصدر الأبدي والأزلي لبروز هذا الجمال والمسبب الأساسي لتكون هذا الكون. إن ماهية هذا الجمال هي حقيقة اتصالك، وما غيابه إلا حالة من الانفصال والتهيه عن الطريق الذي تسير فيه الحياة والمسار الذي نعود به إلى الحقيقة وإلى حضرة الله الأبدية.

الاتصال بالجمال في الخارج

وكما أن مشاهدة الجمال في عالمنا الداخلي تنعكس في الخارج، فكذلك عندما نشاهده في الخارج، فإنه يعود من جديد للداخل. إن الجمال هو شيء حقيقي وليس تصور أو وهم، فهو طاقة من الطاقات التي تحكم هذا الكون والتي تعمل باستمرار في تكوُّنه، وهي سمة من سمات الصنع الإلهي، لذلك فعندما نقول إن اتصالنا بالجمال هو جزء من غايات أرواحنا؛ فإننا نتحدث عن ارتباط من مستوى رفيع، يجمع طاقات عالية لأجل غاية في حد ذاتها لا تحتاج إلى أن ينتج عنها شيء، فمجرد مشاهدة الجمال هي حالة روحية عالية لا تحتاج لتأكيد أو استشهاد.

إن مشاهدة الجمال في الخارج والاتصال به هي إحدى تلك العادات المجدية بل والمساعدة بشدة على تأكيد علاقتنا بذواتنا الحقيقية، وحتى التي تساعدنا في التواصل معها. فالحقيقي في هذا الكون كل موحد وإنما الجمال الخارجي في عالمنا هو إشارة إلى تلك الحقيقية في دواخلنا وإلى الجزء الأصيل منا، وعندما نتصل بالجمال في الخارج أو الداخل فإننا بذلك نؤسس لاتصال بحقيقة من نكون.

الحرية الأصلية

مسيّر أم مخير

وبالرغم من أنه قد سبق لنا تناول هذا الموضوع في الفصول الأولى من هذا الكتاب، إلا أن هذه المرة هي وجهة نظر مختلفة. فبينما كل موضوع يحتوي الكثير من وجهات النظر، وما الكلمات إلا محاولة لمخاطبة الحقيقة الغائبة في دواخلنا والمعلومة مسبقا والمطروقة في محاولات الاستدكار في كل موروث ومقدّس. إننا هنا نتحدث عن الحرية الأصلية للإنسان وعن حالة الشهادة على هذه العملية من وجهة نظر الذات، وأيا كان الإنسان ما بين «التخير والتسيير» فإن حقيقة الحرية لديه تكمن في إمكانية الشهادة. فطبيعة الذات أن تجربتها هي تجربة كمال، وإنها لا تتأثر إلا في إطار علاقتها ككينونة متفردة بالعقل والجسد كمؤثر عليها يحدد الماهية والمصير لهما. إن تجربة الذات إنما هي محاولة للرجوع إلى حقيقة ماثلة، وتحقيق مرغوب كائن. وما تيهها إلا حالة من الغياب غير الحقيقي، وما مطلبها إلا إيقافها حيث هي، لذلك فإن محاولات البحث عنها هي بالسماح لها أن تكون وبحضورها ومشاهدة حقيقة كينونتها.

إن شهادة الذات لأي كان من أوضاع الحياة وظروفها، هو التعبير عن الحرية الحقيقية لذواتنا، وهو الذي يعطينا القوة لخلق الواقع وإعادة

تكوينه، فمجرد هذا الحضور للذات بغض النظر عن تسمية «المخيّر والمسبّر» فإنها تغيّر العلاقة بالعالم الخارجي، وتجلب التحرر من القيود الوهمية للأحداث والظروف، وحتى من الثنائية التي ينظر بها العقل إلى الأشياء في ظل القانون الذي يحكم عالمه.

التحرر من الأشياء

إن ملاحظة حرية ذواتنا تقودنا إلى التحرر المباشر من الأشياء ومن الأشخاص والعلاقات، فإننا في واقعنا مكبلون تماما بالقيود والحدود التي تمليها علينا طبيعة لا نخصنا ولا تعبر عن حقيقة من نكون. إننا ضائعون تماما في التعريفات والتصنيفات التي يضعها العقل، واشترطات هذا الوجود الثنائي، لذلك فإن اتصالنا بذواتنا وشهادتنا لتلك الطبيعة الحرة الخاصة بها؛ وإن كانت لا تغيّر من حقيقة وجودنا الحالي ضمن دائرة الاشتراطات الخاصة بالمادة؛ إلا أننا لا نعود شديدي التأثير والتقيّد بهذه الأبعاد، حتى أننا نبدأ بملاحظة القيود الوهمية التي نعيشها في علاقاتنا بالأشخاص والأشياء والظروف التي أصبحت تقيّدنا وتزيد من حدة الحدود التي تكبل حقيقتنا. إن مجرد هذه الملاحظة وهذه الشهادة على هذه القيود التي يمكن أن تحررنا وتسمح لنا بالخروج عن هذه الدائرة.

الأشياء المزيفة بطبيعتها تخرج إلى التشبث بالحقيقي، فلا يمكن لمزيف أن يستمر إلا كظل لآخر حقيقي، وكذلك الأمر حتى بالنسبة للقيم لدينا؛ فالشر هو ظل الخير، والقبح هو ظل الجمال، وإنما مشاهدتنا للقيم السلبية هي حالة الوهم التي تبعدنا عن الوجود الحقيقي للأشياء، وتعبر عن ارتباطنا بها هو غير حقيقي في دواخلنا، وإن التحرر من قيود الأشياء هو وعد مبدئي بالاتصال الحقيقي بها، ومؤشر بداية الشهادة عليها.

مصدر الحرية الأصلي

الذات هي المصدر الأصلي للحرية والتعبير عن الحقيقة لكي نونة الإنسان، لذلك فأنت لا تحتاج حتى إلى شخص ليخبرك عن ذلك، فأنت سبب حريتك وأنت مصدرها، وهي إحدى سماتك، حتى أن حريتك هي لازمة من لوازم اتصالك بحقيقة من تكون، فأنت لا تحتاج إلى إذن من أحد لممارستها أو الشعور بها في إطار هذه الفرصة التجسدية وبكل اشتراطاتها ومحددات ماهيتها.

إن مشاهدتك لهذه الحرية سوف تتجلى سريعا في حياتك وحتى في حيوات الآخرين المحيطين بك، وبلا شك، ستظهر في شكل بركة ورحابة دواخلك وفي خياراتك والخيارات التي تمنحها للآخرين. إن هذه الحرية تشاركية، وكما أن كل شيء يؤثر في كل شيء؛ فإن أبسط ما نقوم به في دواخلنا هو مساعدة عظيمة نقدمها لذواتنا وللآخرين بل وللعالم أجمع - في نفس الوقت - فهناك تزامن عالٍ يعمل بين الأشياء، لذلك فإنك إن كنت حاضرا بشكل كامل فستشهد تغييرا مباشرا وفوريا لما تحدته في داخلك من تغيير.

حريتك ومنحها لنفسك وللآخرين وللأشياء من حولك هي مطلب مهم لك ولكل شيء وشخص في هذا العالم، وليس ما نشهده في العالم اليوم من تطرف وإرهاب؛ ما هو إلا تعبير عن هذه الحالة من انعدام الحرية الداخلية، وتعبير كذلك عن حالة عدم الحرية المتغلغلة في الوعي الجمعي، والتي تكونت بسببه وبسبب علاقته بالآخر وصراعه الداخلي في سبيل قيمه المختلفة. إن حوجتنا اليوم إلى حرية وعينا الفردي وحتى الجمعي واتصاله بالوعي الكلي، هي أهم قيمة نحتاجها وبسرعة، بل وهي العلاج الأسرع لما نمر به كإنسانية، ونقطة البداية نحو نجاتها وازدهار وجودتها.

الحب وكل شيء آخر

أنوار الحب وظلال الخوف

إن الحب ذو طبيعة نورانية، إنه طاقة لانهائية وسر الوجود والسبب الأساسي للخلق، ولقد تحدث أئمة الروحانية وكبار المتصوفة في هذا المعنى، ودارت حيواتهم كلها حوله، بل وإنني أجزم اليوم بأن كل من اعتلى قمة هرم الروحانية، قد قال بأن الحب هو الغاية والمقصد النهائي لهذا الوجود. وحتى أن ماهية الحب لا تحتاج إلى تعريف، فإن الجميع وبدون أن يخبرهم أحد يعرفونه تماما. فإننا نولد بهذه المقدرة في جزء من طبيعة تكويننا وحقيقة من نكون، وبالرغم من تلك الإضافات، وإعادة التعريف التي يقوم بها العقل، وماتصنعه الذات المزيفة بالحب، إلا أنه يظل إشارة متفق عليها، وتظل مشاهدته تعبيرا عن المرحلة التي يمر بها كل واحد منا.

إن ظلال الخوف هي تلك الإسقاطات التي يقوم بها (الإيقو) على واقعنا وفي علاقتنا بالكون وبكل شيء من حولنا، وحتى ذواتنا، وإن هذه الظلال إنما تكون لازمة في حاله انحصارنا في الثنائية وفي محدودية وجودنا المادي، ولكننا عندما نتخطى هذه الحالة نحو رحابة الذات

وحقيقة الشهود المطلق للحب الذي هو جوهرنا وأصل تكويننا فإنه لا يظل هنالك فينا مكان لذلك الخوف أو فرصة لذلك التيه في عالم الظلال.

الحب هو النور الذي تهدي به ذواتنا نحو الاتحاد مع الكل والجوهر، وهو الرسالة التي نلتقاها من الكل عبر أي واحد وفي كل قصة أو تجربة أو رسالة تأتينا من الكون، عبر لطافة الجمال أو عنفوان الجلال الذي يهدم أضرحة الذات المزيفة فينا.

إن العلاقة العاطفية هي شكل لا يمكن الفرار منه عند التطرق لموضوع الحب أو الإشارة إليه، وبما أننا نتطرق لعالم النور وإسقاطات الظلال، فلا بد من الإشارة إلى أن هذا النوع من العلاقة وبرغم كونه دائما ما ينحدر إلى عالم الظلال وأشكال المعاناة، إلا أنه هو البداية والبذرة التي سوف تنمو لتتخطى محدودية المزيف إلى رحابة المطلق. فإن التجربة العاطفية وبكل ذلك الخلل الذي غالبا ما تحتويه والمعاناة التي تتخللها، إلا أنها من أهم التجارب في المسيرة نحو الروحانية. فإن أولئك القادرين على الحب وتوجيهه نحو الآخرين أيا كان ما يرافق ذلك ويلازمه، فإنهم يكسبون تلك المقدرة على النمو والتطور في هذا الاتجاه، وإن لم تكن لازمة لهذا النوع من الحب إلا أنه يظل بابا مطروقا وفرصة مواتية للترقي.

إن حالة الحب الخالص هي ثمرة معرفة حقيقية بالذات، واتصال بالمطلق في الداخل وبحقيقة الذات، وإن هذا الحب كذلك هو مرحلة

كلية تمثل الحياة وتتخللها، بل وتعيد تعريفها في دواخلنا وتؤطر علاقتنا بها. فإن أنوار الحب وبلا أي مساعدات خارجية قادرة على تخطي ظلال الخوف والذي تنشأ عنه كل خيارات (الإيقو) وتحركاته، وبما أن هذا الظل شكل من أشكال الفوارق في نظرنا للواقع، نتيجة لوجود ضوء حوله؛ فإن حالة الحب الخالص ما هي إلا ضوء باهر يعم كل شيء، ويبدد الظلال في فضاء داخل رحابة الذات الكلية. وبالرغم من أن الحب هو أقرب الى الظلام منه إلى النور في حقيقته، إلا أننا غالبا ما نستخدم النور في عملية عكسية، فقط من أجل التوافق مع العرف العام لتقييم الأشياء. ونسبة لما نحمله في داخلنا من خوف تجاه الظلام والفراغ واللانهائية، لذلك هو نور باهر إلى أن ندرك أنه حالة مطلقة بلا نور ولا ظلام.

وحدة مع الوجود

هي وحدة مطلقة يتسم بها كل هذا الموجود، وهنا دعونا نعود لتأمل «الوجود المادي»، فبداية من النظر إلى الذرة وما بداخلها، وليس بالنهاية عند المجرات وما خارجها؛ فإنها نفس الأشكال تتكرر، رغم تفرداها في حركة متناغمة ومتداخلة مع بعضها البعض. إن الكون ما هو إلا معزوفة شديدة التناغم، تمتزج فيها المكونات لتشكل لوحة شديدة التناسق والاتحاد، وإن الوحدة مع الموجود التي زعمها الكثيرون وبكل اختلافاتنا واتفاقاتنا في وجهات النظر مع مآذهبوا إليه، إلا أنها هي التعبير عن ذلك الشعور الذي ينتج عن حالة الحب الخالص، والتي نبلغها كخلاصة لحقيقة اتصالنا بذاتنا، وحقيقة من نكون في لحظة من لحظات وجودنا، وفي تماس حميم مع كل شخص وشيء من حولنا، وما هذه الوحدة إلا تعبير عن كل موحد وعن ذات مدركة لهذه الحقيقة.

البحر المطلق للحياة

إن الوحدة مع الموجود هي الرحلة النهائية لإدراك الكل، وهي النقطة التي نتصل فيها بالبحر المطلق للحياة؛ عند تلك الحالة التي لا نبقى فيها كشخصيات وتتحول فرديتنا إلى مظهر من مظاهر الاتحاد بالمطلق، والتعبير الدلالي عليه والتذكير بحقيقته. إن البحر المطلق للحياة إنما هو التيار الذي يجمع الكل في واحد، وهو التعبير عن وجهة النظر النهائية لهذه الحياة وهذا البعد وهذه التجربة؛ إنه هو الخروج من الدائرة الثنائية والإدراك للحقيقة المطلقة لمن نكون، بلا قيود ولا ارتباطات، في مطلق بلا حدود، لا تحتويه اللغة ولا تعبر عنه الكلمات، هو الحب وكل شيء آخر.

المراجع والمصادر

كتب

١. القرآن الكريم
٢. الكتاب المقدس (الإنجيل)
٣. الدامابادا (قرآن بوذا) - المجلد بوذا
٤. التاو (إنجيل الحكمة التاوية) - لاتسو
٥. أرض جديدة - إيكارت تول
٦. أفكارك تشفي حياتك - لويز هاي
٧. تحقيق الأمنيات - د.وين داير
٨. ثلاثة مباحث في نظرية الجنس - سيجمند فرويد
٩. الحب بين الشهوة والأنا - ثيودورايك
١٠. الحرية الأولى والأخيرة - جيدو كريشنا مورتى
١١. حوارات مع الرب - دونالد ولوش
١٢. جسمك يتكلم اسمعه - ديب شابيرو
١٣. ذاكرة الجسد تشفيك جسدياً ونفسياً وروحياً - ميريام بروس
١٤. رؤى مستقبلية - ميتشيو كاكو
١٥. سر العلاقات الحميمة - أوשו
١٦. شفاء الحب كشف الحقائق عن المثلية الجنسية - د.أوسم وصفي
١٧. طاقة الحياة الدفاع النفسي الطاقى - تشوا كوك سوي
١٨. فك شفرة الأعراض والأمراض - د. صلاح صالح الراشد
١٩. قواعد العشق الأربعون - أليف شفق
٢٠. قوة الآن - إيكارت تول
٢١. الكارما الحب الإلهي - عصام قرضاب

٢٢. كيف تخطط لحياتك - د.صلاح صالح الراشد
٢٣. ما بعد إنشأتين - ميتشيو كاكو
٢٤. مقالات عن الماتريكس الحقيقي - ديفيد إيك
٢٥. من الجنس إلى أعلى درجات الوعي - أوשו

أفلام وفيديوهات

١. سلسلة أفلام الماتريكس
٢. فيلم ازدراع
٣. فيلم أفكارك تشفي حياتك - لويس هاي
٤. فيلم المقاتل المسالم
٥. فيلم النقلة من الهدف إلى المعنى - د.وين داير
٦. فيلم تأثير الظل
٧. محاضرة تحقيق الأمنيات - د.وين داير
٨. محاضرة فن أن تكون إنسانا كاملا - د.ليو بوسكاليا
٩. وثائقي - الكون باختصار (نظرية كل شيء) - ميتشيو كاكو
١٠. وثائقي عبر الثقب الدودي - مورغان فريمان

مراجع على شبكة الإنترنت

١. تكنولوجيا قيادة الواقع: ترجمات عن العالم الروسي فاديم زيلاند - الكوتس رشيد (صفحة الفيس بوك)
٢. سلسلة التوازن: ترجمات عن العالم الروسي فاديم زيلاند - (الساوند كلاود - هنداء)
٣. مقالات الدكتور صلاح الراشد على الفيس بوك عن (الإيقو) والوعي
٤. موقع بيت الصفا
٥. موقع بيت الصياد
٦. ويكيبيديا الموسوعة الحرة

رقم الإيداع:
2016/299م